جامعة أم القـرى
كلية العلوم الاجتماعية / قسم الخدمة الاجتماعية

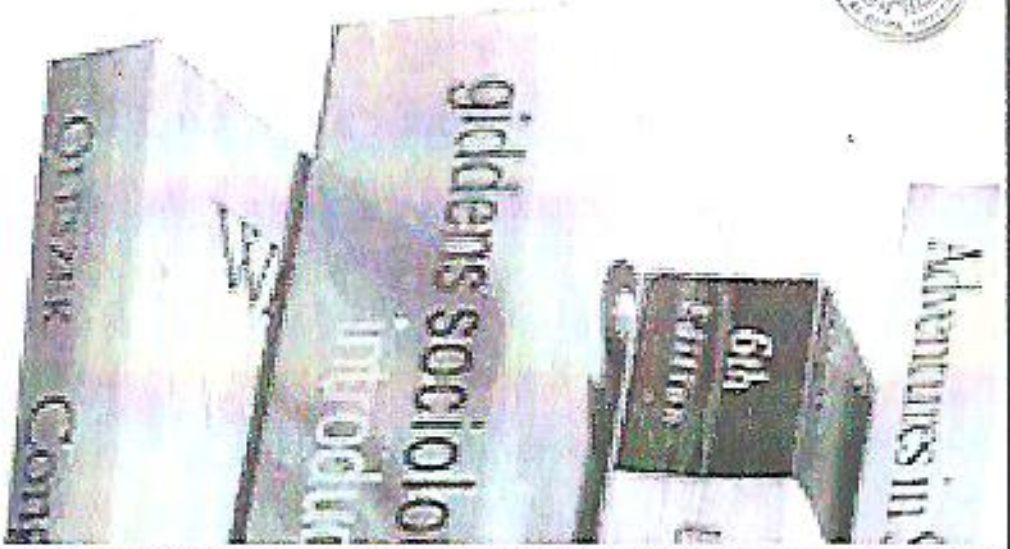

المدخل إلى العلوم الاجتماعية

جزئية من مقرر "المدخل إلى العلوم الاجتماعية" رقم ٧٠٣١١١ - ٧٠٣١٧٢
ضمن متطلبات كلية العلوم الاجتماعية لمرحلة البكالوريوس

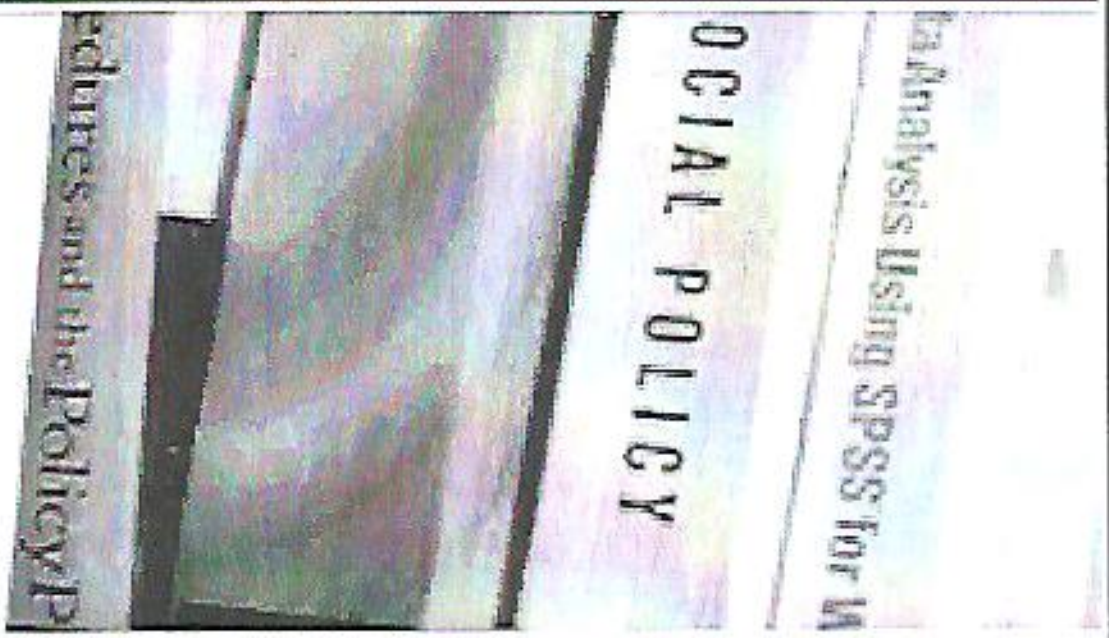

١٤٤١هـ

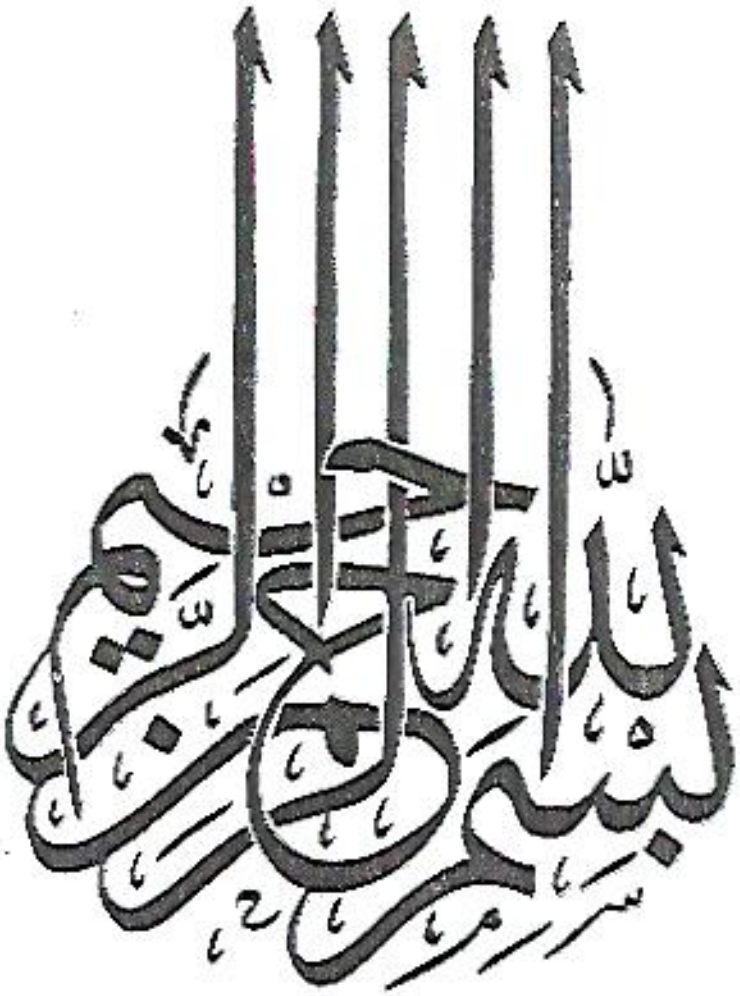
بسم الله الرحمن الرحيم

مفردات المقرر

البيانات العامة:

اسم المقرر: المدخل إلى العلوم الاجتماعية.

رقم المقرر: ٧٠٣١١١ و ٧٣٣١١١ لطلاب وطالبات قسم الخدمة الاجتماعية، و٧٠٣١٧٢ و ٧٣٣١٧٢ لطلاب وطالبات أقسام الكلية الأخرى.

٢ – الساعات المعتمدة: ساعتان معتمدتان.

٣ – البرنامج الذي يقدم المقرر ضمنه: متطلب تخصص مساند لطلاب وطالبات قسم الخدمة الاجتماعية، ومتطلب كلية لطلاب أقسام الكلية الأخرى.

أهداف المقرر:

يقدم هذا المقرر كمتطلب كلية لجميع طلاب كلية العلوم الاجتماعية بوحدتين دراسيتين، ويهدف إلى تزويد طلاب الكلية بالمعرفة الأساسية للعلوم الاجتماعية، باعتبارها علوماً متداخلة متساندة ذات طبيعة مشتركة وتسعى جميعها إلى نفس الهدف على الرغم مما لكل منها ما يميزه تاريخيا ونظريا ومنهجيا. ويهتم هذا المقرر بالتعريف العام بطبيعة مجال العلوم الاجتماعية بشكل عام والمعالم الأساسية لفروع هذا المجال من علوم متنوعة، مع تبيان دورها في عملية التنمية الشاملة وأبرز الإسهامات في مجالاتها المختلفة. كما يوضح المقرر أيضا الطبيعة المتداخلة لهذه العلوم ومجالات اهتمامها المختلفة، مركزا على العلوم الاجتماعية التي تدخل ضمن تخصصات الكلية كالخدمة الاجتماعية والجغرافيا وعلم اللغة والإعلام وعلم المعلومات.

مكونات المقرر:

(٢٨) ساعة للمحاضرات و(٤) ساعات للاختبارات ، أضافة إلى (٣) إلى (٥) ساعات إضافية من الواجبات المنزلية خلال الفصل الدراسي.

المعرفة التي سيتم اكتسابها في المقرر:

الإلمام بأساسيات العلوم الاجتماعية التي تدرس على مستوى الكلية والتعرف على تطورها التاريخي والنظري، والتعرف على تطبيقاتها في مختلف الجوانب الاجتماعية.

استراتيجيات التدريس لتطوير تلك المعرفة:

التركيز على المحاضرة كوسيلة رئيسة للتدريس مع استخدام وسائل العرض المناسبة، واستخدام أسلوب الجماعات الفصلية الصغيرة للنقاش والتداول حول مختلف القضايا الاجتماعية ذات الصلة بالمواضيع المدروسة.

طرق تقييم المعرفة المكتسبة:

الاختبارات والواجبات المنزلية والمشاركة والنشاط داخل الفصل

المهارات المعرفية المطلوب تطويرها:

- التمييز بين القضايا الاجتماعية المختلفة على ضوء ما تنتمي إليه من نظام علمي.
- التعرف على كيفية التعامل مع تلك القضايا الاجتماعية.
- الاستفادة من التداخل بين العلوم الاجتماعية وتسخير ذلك لفهم وتفسير الظواهر والقضايا الاجتماعية المختلفة.

الجدول الزمني لمهام التقويم خلال الفصل الدراسي:

#	طبيعة التقييم	الأسبوع المستحق	نسبة الدرجة إلى الدرجة النهائية
١	واجب منزلي أول	٤	%٥
٢	اختبار نصفي	٨	%٢٠
٣	واجب منزلي ثاني	١٢	%٥
٤	نشاط والمشاركة والمواظبة	مستمر	%١٠
٥	اختبار نهائي	١٦	%٦٠

****

قائمة المحتويات

الموضـــوع	رقم الصفحة
قائمة المحتويات.	٤
تمهيد.	٥
الفصل الأول: العلوم الاجتماعية– تقديم عام.	٦
الفصل الثاني: الخدمة الاجتماعية والعلوم المرتبطة بها.	١٧
الفصل الثالث: علم السياسة	٤٤
الفصل الرابع: اللغة والمجتمع	٥٥
الفصل الخامس: علم الجغرافيا	٨٤
الفصل السادس: الاتصال الجماهيري (الإعلام)	٩٤
الفصل السابع: المعلومات: ماهيتها– أهميتها	١١٥
المصادر والمراجع	١٣١

تمهيـــــد

تمثل هذه المذكرة جزئية من متطلبات مقرر "المخل إلى العلوم الاجتماعية" رقم ٧٠٣١١١ – ٧٠٣١٧٢ للطلاب و ٧٣٣١١١ – ٧٣٣١٧٢ للطالبات، والذي يقدم ضمن متطلبات كلية العلوم الاجتماعية لدرجة البكالوريوس لجميع أقسمها بوحدتين دراسيتين، ويهدف إلى تزويد طلاب وطالبات الكلية بالمعرفة الأساسية للعلوم الاجتماعية، باعتبارها علوماً متداخلة متساندة ذات طبيعة مشتركة وتسعى جميعها إلى نفس الهدف على الرغم مما لكل منها ما يميزه تاريخيا ونظريا ومنهجيا.

ويهتم هذا المقرر بالتعريف العام بطبيعة مجال العلوم الاجتماعية والمعالم الأساسية لفروع هذا المجال من علوم متنوعة، مع تبيان دورها في عملية التنمية الشاملة وأبرز الإسهامات في مجالاتها المختلفة. ويركز المقرر على العلوم الاجتماعية التي تدخل ضمن تخصصات الكلية كالخدمة الاجتماعية والعلوم المتصلة بها والجغرافيا وعلم اللغة والاتصال الجماهيري وعلم المعلومات.

ولا تقتصر متطلبات هذا المقرر على هذه المذكرة فقط، فهي تمثل جزئية من تلك المتطلبات التي تتضمن أيضا بعض التكليفات الإضافية مثل النقاش الصفي والواجبات المنزلية وغيرها.

الفصل الأول

العلوم الاجتماعية: تقديم عام

معنى المصطلح:

العلوم الاجتماعية (Social Sciences) هي تلك المجموعة من العلوم التي تهتم بدراسة شتى العلاقات التي تحدث بين بني البشر نتيجة لتفاعلهم مع بعضهم البعض في حياتهم اليومية من ناحية، ومع بيئتهم التي يعيشون فيها من ناحية أخرى. وتتعدد مسميات هذا المجال: فتارة العلوم الاجتماعية (Social Sciences)، وتارة العلوم الانسانية (Humanities)، وتارة العلوم السلوكية (Behavioral Sciences)، وتارة العلوم الثقافية (Culltural Sciences)، وتارة العلوم المعنوية، أو العلوم العقلية، أو الروحية (Spiritual Sciences). ومصطلحا " العلوم الاجتماعية " و " العلوم الانسانية " هما أكثر هذه التسميات تداولاً، وأكثرها تشابهاً. إلا أن مصطلح " العلوم الانسانية " أكثر شمولاً لأنه يتسع لكل العلوم التي تهتم بالحياة الانسانية ويستبعدها البعض من مجال العلوم " الاجتماعية " كاللغات والآداب وماشابهها.

ومصطلح " العلوم السلوكية " هو امتداد للمدرسة السلوكية في علم النفس، وأنه ناتج عن غلبة الاتجاهات الوضعية والتجريبية في التقليد الأمريكي بوجه خاص، والتي تهتم بدراسة السلوك الخارجي الظاهر والقابل للقياس لكل المناشط الانسانية، فردية كانت أم جماعية.

أما بالنسبة لمصطلح " العلوم العقلية (أو الروحية) " فيمكن رده إلى التقاليد الألمانية المثالية والعقلانية التي تميز ما بين " علوم الطبيعة " و " علوم الروح " باعتبار أن " المعنوي " مفهوم انساني يتضمن الجانب العقلي أو الروحي أو النفسي في مقابل " المادي " الذي تهتم به العلوم الطبيعية .

وهناك مصطلح " العلوم الثقافية " الذي يحتل مركزاً وسطاً بين المصطلحات السابقة، فيركز على دراسة نشاط الانسان من خلال دراسة القيم والعادات والمعايير والثقافة بوجه عام، لأنها تمثل محور ذلك النشاط، باعتبارها الوجه الانساني من العالم، وأنها هي التي تحدد للإنسان العتاد والوسائل والاسلوب الذي يستخدمه في تفاعله مع بيئته، وهي التي ترسم له الخطة التي يزاول بها فاعليته، فكراً وسلوكاً، من خلال ما تتضمنه من بواعث ومثل عليا وقيم ومقاييس ومهارات وقيم.

وعلى الرغم من تعددها إلا أن هذه التسميات جميعها تشير إلى نفس المجال وتلتقي عند نفس المصطلح الذي ينطبق عليها كلها، وهو " العلوم الاجتماعية ". أما الإختلاف فلعل مرده هو ما يتميز به كل مجتمع من خصائص اجتماعية وعلمية وفلسفية وايدلوجية أثرت على منهجية كل من تلك المجتمعات وفرضت نفسها كمحور أساسي في ذلك المجال. ولقد نشأت العلوم جميعها في كنف المجتمع وترعرعت فيه، واهتمت بقضاياه المتنوعة وأموره الأخرى، فمنها ما يعالج قضاياه مباشرة، ومنها ما يهتم بأموره الأخرى التي لا تتخذ الصفة الاجتماعية من الوهلة الأولى، كالكيمياء والفيزياء والرياضيات وأمثالها. فالمجموعة الأولى هي مجموعة " العلوم الاجتماعية "، أما المجموعة

الثانية – والتي عادة ما يشار إليها باسم " العلوم الطبيعية " – فلا تعالج قضايا المجتمع بطريقة مباشرة، ولكنها ذات أهمية بالغة في كافة نواحيها.

ومع تواتر النهضة العلمية والمعرفية العامة، وتعقيد الحياة الاجتماعية وتطور مجال العلوم الاجتماعية منهجياً ونظرياً، تبلورت النظرة العلمية للظاهرة الانسانية أو الاجتماعية، واتضحت ضرورة تناولها بشكل ومنهج منفصل عن الذي يستخدم في دراسة الظاهرة الطبيعية. فالظاهرة الانسانية تتميز عن غيرها من الظواهر بالآتي:

١- إنها ظاهرة معقدة: أي أن هناك الكثير من العوامل التي تدخل في تحديدها ويصعب فصلها عن بعضها البعض.

٢ – إنها ظاهرة متغيرة باستمرار: أي أنها في حركة وتحول مستمرين، لأنها ظاهرة ليست ثابتة، مما يجعل من تحديد القوانين الرقيقة المسببة لها أمراً صعباً.

٣ – أنها ظاهرة نسبية: أي أنها ليست ذات قيمة مطلقة بالنسبة لمختلف العصور والثقافات والأشخاص.

٤ – إنها ظاهرة واعية: أي يتحكم فيها الوعي والإرادة والقصد والنية، وذلك بعكس الظاهرة الطبيعية المادية الموجودة بشكل موضوعي ومستقل عن ذات الباحث. وهذا يعني أن الملاحظ غير منفصل عن الظاهرة الملاحظة.

٥ – إنها ظاهرة خفية: أي أنه يجب اكتشافها وتحديدها لأنها غير معطاه بطريقة مباشرة، كما أن حقيقتها لا تتضح فقط بمجرد ملاحظتها.

مفهوم المجتمع:

بالرغم من وجود أوجه متعددة للتداخل بين العلوم إلا أن لكل مجموعة مجالها الذي نهتم بدراسته فالعلوم الطبيعية تهتم بدراسة الجوانب المادية والفزيولوجية من الكون، بينما تهتم العلوم الاجتماعية بدراسة مختلف العلاقات والظواهر التي تنشأ بين أفراد المجتمع في حياتهم اليومية من خلال تفاعلهم مع بعضهم البعض من ناحية ومع العالم الطبيعي الذي يضمهم من ناحية أخرى. ويعتبر المجتمع هو الاطار المرجعي الأول لكل هذه العلاقات، فهو الذي يشكلها ويصنفها ويقيمها ويؤثر فيها ويتأثر بها. ويعتبر تفاعل الأفراد والجماعات مع البيئة الطبيعية من حولهم تفاعل إجتماعي لأن منشأه ووسائله وأهدافه يحددها المجتمع الذي يعيشون فيه.

والمجتمع هو أول وأهم وأعم جوانب مجال العلوم الاجتماعية بكل ميادينه وليس في مجال علم الاجتماع فحسب. والصعوبة التي تواجهنا عند محاولة تعريف هذا المصطلح تعريفاً دقيقاً هي أنه – مثل العديد من مصطلحات العلوم الاجتماعية الأخرى – يستخدم كثيراً في الحياة اليومية. ومن المعروف أن الكلمات التي نستخدمها في حياتنا اليومية وتستخدم كمصطلحات فنية في بعض العلوم، لاتبلغ إلا درجة محدودة من حيث دقة معانيها. ونحن في محادثاتنا اليومية لانقوم بتفسير ما نعنية بالمصطلحات التي تستخدمها، والتي غالباً مانجهل بأنها مصطلحات ذات معاني دقيقة ومحددة، لأننا في العادة لا نجد مشقة في إدراك المعنى المقصود. وقد أكدت العديد من الدراسات أن بعض الكلمات الكبيرة كثيراً ما تحظى بالاستخدام على نطاق واسع دون أن تبلغ معانيها

أي درجة تذكر من الدقة، مما يؤكد على ضرورة توضيح مثل هذه الكلمات في المجال العلمي وتحديد معانيها بكل دقة.

أما الصعوبة الثانية التي تواجهنا هي أن كلمة "مجتمع" تستخدم بمعان مختلفة ودلالات مختلفة ولأغراض مختلفة. فهناك المجتمع الانساني ومجتمع المدينة والمجتمع المدرسي ومجتمع الجريمة ومجتمع الفن أو الصحافة... الخ ولا يقتصر استخدام مصطلح المجتمع على الآدميين فحسب، لأن الحياة الاجتماعية موجودة أيضاً بين بعض أنواع الحشرات والحيوانات العليا. وعندما نستخدم مصطلح "مجتمع البحث" فإن كلمة مجتمع قد تعني أي شيء يقوم البحث بدراسته. فإذا أردنا مثلاً دراسة فصائل أشجار النخيل في منطقة ما فإن مجتمع الدراسة في هذه الحالة هو أشجار النخيل في منطقة الدراسة. وإذا أردنا دراسة الامراض التي تصيب الماشية في منطقة ما فإن مجتمع الدراسة في هذه الحالة هو الماشية في تلك المنطقة. أما مجتمع الدراسة في البحث الذي يستطلع آراء طلاب الجامعة حول ظاهرة ما من الظواهر فهو طلاب الجامعة. وهكذا تتعدد معاني كلمة المجتمع، حسب الإطار الذي ترد فيه. وقد أدى ذلك إلى تعدد التعاريف للمصطلح واختلافها باختلاف المجتمعات التي نشأت فيها والمفكرين الذين قاموا بصياغتها.

وقد حاول المفكرون الاجتماعيون في القرن العشرين تعريف المجتمع بطريقة دقيقة ومحددة، فعرفه فريق على أساس وعي الأفراد بانفسهم وارتباطهم معاً بمصالح واهتمامات مشتركة، وفريق آخر عرّفه على أساس العلاقات المنظمة أو غير المنظمة التي تربط أفراده كما عرفه فريق ثالث في ضوء عدد من الخصائص.

الاتجاه الأول:

تعريف المجتمع على أساس وعي الأفراد وارتباطهم معاً بمصالح واهتمامات مشتركة:

(١) يعرف "ايوبانك Eubank " المجتمع بأنه عبارة عن "جماعة من الناس عاشوا معاً، وعملوا مع بعضهم لفترة طويلة نسبياً تمكنهم من الوصول الى درجة معينة من التنظيم بحيث يعتبرون أنفسهم وحدة اجتماعية لها حدودها المعروفة "

(٢) أما "يونج Young " و " ماك Mack " فيعرفان المجتمع بأنه " أوسع تجمع للناس، يشتركون في مجموعة مشتركة من العادات والأفكار والاتجاهات، ويعيشون في أرض محددة، ويعتبرون أنفسهم وحدة اجتماعية "

(٣) ويعرف " مورجان Morgan " المجتمع بأنه " مجموعة منظمة من الأفراد والعائلات ممن يعملون في تضافر وتناسق كوحدة واحدة لمقابلة احتياجاتهم المشتركة، لما بينهم من ميل وعادة ومصلحة مشتركة "

الاتجاه الثاني:

تعريف المجتمع على أساس العلاقات المنظمة أو غير المنظمة التي تربط بينهم:

(١) يُعرف "موريس جينزبيرج M. Ginsburg " المجتمع باعتباره "يشمل كل معاملة بين الانسان والانسان، سواء كانت هذه المعاملة مباشرة أو غير مباشرة، منظمة أو غير منظمة، واعية أم غير واعية، تعاونية أم عدائية "

(٢) ويعرف "ماكيفر Maciver " المجتمع بأنه "ذلك النسق المعقد الدائم التغيير الذي يتألف من العرف المنوع، والاجراءات المرسومة، ومن السلطة، والمعونة المتبادلة، ومن كثير من التجمعات والأقسام، وشتى وجوه ضبط السلوك الانساني والحريات "

(٣) كما يعرفه "ماير Maier " و "رومني Rumney " بأنه "أي نوع وأية درجة من العلاقة يكونها الإنسان، سواء كان هذه العلاقة منظمة أو غير منظمة"

(٤) أما "وارنر Warner " و "لنت Lunt " فيعرفان المجتمع بأنه "عدد من الناس يشتركون في اهتمامات معينة، ومشاعر وسلوك وأشياء أخرى مشتركة لأنهم ينتمون الى جماعة اجتماعية واحدة، وجميعهم يقطنون في منطقة معينة يستخدمونها بغرض استمرار الحياة الطبيعية والاجتماعية للجماعة، وترتبط بين جميع أعضائها علاقات اجتماعية مباشرة أو غير مباشرة، وتكوّن تلك العلاقات الاجتماعية في مجموعها البناء الاجتماعي لذلك المجتمع "

الاتجاه الثالث:

تعريف المجتمع في ضوء عدد من الخصائص:

يحدد "كينجزلي ديفيز Kingsley Davis " أربعة عناصر أساسية لقيام المجتمعات وهي: السكان، والتخصص والتمايز الطبقي، والوحدة أو التضامن، واستمرار النسق الاجتماعي .

ويضع "ماريون ليفي Marion Levy " أربعة معايير للتمييز بين المجتمع وبين غيره من التجمعات البشرية، وهي:

١ – قدرة المجتمع على الاستمرار الى مدى زمني اطول من عمر أعضائه.

٢ – قدرة المجتمع على تجديد ذاته من خلال الحصول على أعضاء جدد عن طريق نظام معترف به للإنجاب، وتوافر نظام تربوي قادر على تحقيق التنشئة الاجتماعية للأعضاء الجدد على أساس ثقافة المجتمع ونظمه.

٣ – توافر مجموعة من المعايير المشتركة المنظمة للأفعال الاجتماعية للأعضاء والشعور بالولاء للمجتمع لدى هؤلاء الأعضاء.

٤ – قدرة المجتمع على تحقيق الاكتفاء الذاتي .

أما "هاري جونسون Harry Johnson " فيعرف المجتمع بأنه عبارة عن جماعة من الناس تتوفر فيها أربعة عناصر أساسية هي:

١– الإقليم: ويشمل رقعة محددة من الأرض، وظروف بيئية وجغرافية معينة تؤثر في حياته الاجتماعية والثقافية بطريق مباشر أو غير مباشر وتكسبها طابعاً خاصاً.

٢– السكان: ويحصل المجتمع على سكانه عن طريق التكاثر او الانجاب، الذي يعتبر المورد الأساسي للسكان. وقد تحصل بعض المجتمعات على سكانها عن طريق الهجرة أو الغزو أو خلافه.

٣– الثقافة الشاملة: والثقافة هي احدى المميزات الأساسية للإنسان. وهي احدى العوامل الرئيسية التي تميز المجتمعات عن بعضها البعض.

٤– الاستقلال والتكامل: ويعنى هذا أن يكون المجتمع قائماً بذاته كوحدة اجتماعية، ومحقق فيه نوع من التكامل من خلال الاعتماد المتبادل بين

أعضائه، والمعايير والقيم العامة التي يخضع لها الأفراد في سلوكهم ويسيرون وفقاً لها. ويتوقف تماسك المجتمعات الى حد كبير على وحدة المعايير والقيم السائدة فيه وانسجامها والإلتزام بها.

ويتضح لنا مما استعرضناه من تعاريف عدم وجود تعريف موحد يتفق عليه كل العلماء نسبة لتباينهم فيما يجب التركيز عليه من عنصر أو عناصر يعتمد عليها التعريف. إلا أنه من الممكن الخروج من هذه التعاريف المتنوعة بالعناصر الأساسية التي يقوم عليها المجتمع، والتي يمكن تلخيصها في ما يلي:

١- الحدود الجغرافية: وهي المساحة من الأرض المقيدة بحدود إدارية أو سياسية، أو المنطقة الجغرافية المحددة على أساس طبيعة المجتمع الذي يحتلها أو احتياجاته أو مشكلاته، دون تقييدها بحدود إدارية أو سياسية معينة.

٢- مجموعات من الناس لها أهداف ومصالح مشتركة: الغالبية العظمى من أفراد المجتمع يسعون لتحقيق أهداف ومصالح يشتركون فيها، ولكنهم لا يكونون متفقين بالضرورة على الأساليب التي تمكنهم من تحقيقها.

٣- الشعور بالولاء والانتماء للمجتمع: يمثل هذا الشعور الدافع الذي يحقق الترابط الاجتماعي، كما يشعر الفرد بكيانه وأهمية دوره.

٤- الاعتماد المتبادل: ويتم هذا الاعتماد المتبادل بين جماعات المجتمع، وبين المجتمع والمجتمعات الأخرى لاشباع الاحتياجات المتنوعة المادية والاجتماعية والنفسية.

٥- العلاقات الاجتماعية: وتتحدد هذه العلاقات بناء على ظروف المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ودرجة التفاعل بين أفراد المجتمع وجماعاته ومؤسساته.

٦- النظم الاجتماعية: لابد لأي مجتمع – مهما كانت درجة تقدمه أو تخلفه – من أن تتوفر فيه مجموعة من النظم الاجتماعية (كالنظام الاسري والنظام السياسي والنظام الديني.. الخ) التي تحكم وتنظم علاقات أفراده وحياتهم وسلوكهم، وتكوّن في مجموعها بناءه الاجتماعي.

وبناءً على هذا فيمكن القول بأن المجتمع يمثل نسقاً (system) بداخله العديد من الأنساق الفرعية (Sub - systems) المتداخلة والمترابطة، والتي تضم بداخلها عددا من النظم الاجتماعية التي يتناول كل منها فئات معينة من الظواهر التي تتعلق بنشاط معين كالنشاط الاقتصادي أو السياسي أو الثقافي أو الديني ... الخ وكل منها يضم بدوره عدد من المكونات الداخلية المترابطة والمتداخلة. فلو نظرنا للنظام الاقتصادي نلاحظ ارتباطه وتداخله مع العديد من النظم الأخرى، واشتراكه في الكثير من المساحات مع غيره. ونفس الدرجة من التداخل والترابط نلاحظها في المكونات الداخلية لكل منهما بقية النظم التي يضمها المجتمع.

ويلاحظ أن صورة النسق أو التنظيم الاجتماعي العام الممثلة في الشكل تتضمن جوانب أخرى متمثلة في المؤثرات الأخرى الناتجة من البيئة والتنظيمات الاجتماعية الأخرى. وكثيراً مايقال عن العالم المعاصر بأنه قد صار مثل القرية الصغيرة نتيجة لتقدم التقنية التي تربط مجتمعاته ببعضها البعض وتقرب

المسافات بينها. فلم يعد هناك من المجتمعات ما يستطيع الانعزال أو الاكتفاء ذاتياً مهما بلغت موارده، حيث أن الاعتماد المتبادل بين المجتمعات قد أصبح ضرورة حتمية. ولم يعد هناك من المجتمعات ما يستطيع أن يعيش منعزلاً عن باقي مجتمعات العالم حتى ولو أراد ذلك.

وهناك أيضاً مؤثرات البيئة الطبيعية في الحياة الاجتماعية، والتي تعي كل ما يتعلق بالمنطقة التي يعيش فيها الانسان من حيث التكوين والموقع الجغرافي والتضاريس وما يحيط بها من ظروف طبيعية ومناخية وما يشتمل عليه باطن أرضها من مواد أولية. وقد أشار عبد الرحمن بن خلدون الى أهمية الدور الذي تلعبه البيئة في الحياة الانسانية، فأشار الى أن البيئة الجغرافية هي السبب المباشر في اختلاف البشر جسمياً وعقلياً ونفسياً وخلقياً وحيوية وإدراكاً وهي التي تميز المجتمعات في تقاليدها وعاداتها ومنازعها واقتصادياتها وشئونها السياسية والقضائية والعائلية والدينية .

وبالرغم من هذا الدور الذي تلعبه البيئة الطبيعية في جميع نواحي الحياة الانسانية، إلا أنه يجب عدم المغالاه في تقدير هذا الدور أو المبالغة فيه ، كما تختلف درجة تأثيرها حسب درجة تطور المجتمعات ، فكلما زادت درجة تطور المجتمع اجتماعياً وثقافياً زادت درجة انفصاله عن أسر البيئة، حتى صارت درجة تأثير البيئة في مجتمع ما تتناسب عكسياً مع ما بلغه من تطور ثقافي وحضاري.

الفصل الثاني

الخدمة الاجتماعية والعلوم المرتبطة بها

(١) الخدمة الاجتماعية:

لم ينل مفهوم الرعاية الاجتماعية الاهتمام الذي يتمتع به حاليا إلا في بداية القرن العشرين نتيجة الحياة الاجتماعية الحديثة المعقدة التي أفرزت كثيراً من المشكلات الاجتماعية التي عجزت المؤسسات الإنسانية التقليدية كالأسرة والجيرة والمجتمع المحلي عن علاجها بصورة ملائمة، الأمر الذي أدى إلى ضرورة تنظيم الخدمات الاجتماعية بإشراف الهيئات المتخصصة والأجهزة الحكومية لمساعدة المحتاجين وتحقيق أهداف التنمية الاجتماعية وإشباع الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع. وقد ساعد تطور ونمو العلوم الاجتماعية والنفسية على ابتكار أساليب جديدة لتقصي أسباب مختلف المكلات والتعرف على العوامل التي تؤدي إليها، ثم العمل على علاجها أو التخفيف من آثارها.

وتختلف الأساليب الخاصة بتوفير الرعاية الاجتماعية ضد المخاطر التي تهدد الأفراد في المجتمع من دولة لأخرى لاختلا الأسس التنظيمية والاقتصادية والأيديولوجية لكل دولة. وقد اقتصرت وسائل الرعاية قديماً على أساليب تعتمد أساساً على الجهود الفرية مع تدخل بسيط من جانب الدولة اتسم بالقمع وازدراء الفقراء.

على أن الظروف الاقتصادية التي صاحبت نشأة النظام الرأسمالي قد تغيرت عندما انتقل النظام الرأسمالي إلى نظام الاحتكارات واتسعت سلطات الدولة

وتطورت وظيفتها وتحدد هدف وسائل الرعاية الاجتماعية، وأصبحت هذه الوسائل تهدف إلى كفالة الأمن الاجتماعي للفئات الفقيرة التي وقعت صرعى مخاطر النظام الرأسمالي. فهي تهدف إلى تحرير الفرد من الحاجة المترتبة على عدم تكافؤ الفرص وعدم المساواة الاجتماعية، أو عن المرض، أو الشيخوخة، أو العجز أو البطالة وذلك بتوفير مورد يتمثل في تعويض مالي أو معاش نقدي.

بيد أن الحاجات لا يمكن قياسها كلية على أساس الرفاهية المادية وحدها. فهناك مثلاً الحاجة إلى الشعور بالأمن ضد مخاطر الحياة اليومية ولا يعني مجرد توفير مكان للمسنين يتوفر فيه الملبس والغذاء أن كل حاجات كبار السن قد توفرت، فهناك الحاجة إلى الشعور باحترام الذات، وإلى التقدير.

والواقع أن الخدمة الاجتماعية الحديثة تعتبر استجابة لتلك المشاكل الاجتماعية أو لاحتياجات إنسانية التي لازمت المجتمع الإنساني مثل مشاكل الفقر والمرض والشيخوخة والترمل والخلافات الزوجية والعجز وعدم التكيف والانحرافات السلوكية والجريمة وغيرها من المشاكل التي صاحبت المجتمع الإنساني منذ فجر التاريخ، والتي لم يقف المجتمع حيالها جامداً، بل استخدم كثيراً من الأساليب والمناهج لمقابلتها ومقاومتها وعلاج ما يترتب عليها من آثار في حياة الناس، غير أن الخدمة الاجتماعية تختلف من وجوه أساسية عن تلك المناهج والأساليب التي استخدمت قديماً انطلاقاً من مبدأ مساعدة الأفراد على الاستفادة من إمكانياتهم وقدراتهم كي يتمكنوا من الاعتماد على أنفسهم والمشاركة الفعالة في تغيير مجتمعاتهم.

وقد تطورت الخدمة الاجتماعية رغم حداثة نشأتها تطوراً كبيراً حتى أصبح ميدان المعونة الاقتصادية هو أضعف ميادينها، وكان تطورها متمشياً مع تطور المجتمعات التي ازدهرت فيها، وكانت تواجه المشاكل الاجتماعية المصاحبة للتطور الاقتصادي والاجتماعي محاولة أن تجد لها الحلول العلمية، ولم يعد عملاء الخدمة الاجتماعية هم الفقراء فقط بل صارت خدماتها تمتد لجميع أفراد المجتمع وجماعاته.

وهناك العديد من التعاريف للخدمة الاجتماعية، من أبرزها تعريف "أرلين جونسون" عام ١٩٧٣ الذي يعرفها على النحو التالي:

> "الخدمة الاجتماعية هي خدمة مهنية تؤدي للناس بغرض مساعدتهم كأفراد وفي جماعات على إقامة علاقات مرضية، وللوصول إلى مستويات لائقة في الحياة بما يتفق ورغباتهم الخاصة وقدراتهم وبما يتلاءم مع المستويات والعلاقات الاجتماعية بالمجتمع".

أما تعريف "بسنو" الذي وضعه عام ١٩٢٥ فيركز على دور الخدمة الاجتماعية على تحقيق التفاعل الاجتماعي الإيجابي حيث يقول:

> "الخدمة الاجتماعية هي توفير الخدمات المخصصة لمساعدة الأفراد كأفراد أو في جماعات على مواجهة الصعاب النفسية والاجتماعية، الحالية أو المستقبلة، والتي تعرقل أو يحتمل أن تعرقل إسهامهم الكامل والفعال في المجتمع".

ولما تطورت الخدمة الاجتماعية لتهتم بالمجتمعات والجماعات قبل الأفراد لتتمكن من توصيل الخدمات إلى أكبر عدد ممكن في أقل وقت، بدأت طريقة خدمة الفرد وطريقة تنظيم المجتمع في التطور السريع وخاصة الطريقة الأخيرة، واهتمت الخدمة الاجتماعية بالسياسة الاجتماعية ووزاد ارتباطها بالعلوم الاجتماعية الأخرى كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم النفس والاقتصاد والعلوم السياسية وغيرها. والواقع أن الخدمة الاجتماعية لم تكن سلبية في علاقتها بتلك العلوم التي تستند إليها، بل صاحب التغير والتطور الذي طرأ على الخدمة الاجتماعية تغير وتطور مماثل في بعض منها. فعلى سبيل المثال اتجهت كثير من العلوم الاجتماعية إلى الاهتمام بممارسات الخدمة الاجتماعية، فعلى سبيل المثال اتجه علم الاجتماع إلى دراسة المشكلات التي تحاول الخدمة الاجتماعية علاجها- كمشكلات الأحداث والمشكلات الأسرية، وأثر تطبيق الأخصائيين الاجتماعيين لمنهج "فرويد" في التحليل النفسي علي علم الاجتماع أيضا فبدأ في استخدام منهج التحليل النفسي في بحوثه وتفسيراته. كما أثر العلاج البيئي الذي يقوم به الأخصائيون الاجتماعيون على نظريات علم النفس، فتوسع علم النفس في بحث أثر البيئة على "الأنا" وعلى العديد من الاعتبارات الأخرى في هذا المجال.

وللخدمة الاجتماعية طرقها المختلفة وهي تعتمد في تعاملها مع عملائها على الطرق الرئيسية الثلاث (خدمة الفرد- خدمة الجماعة- تنظيم المجتمع) ولها أيضاً أساليبها الفنية التي تستخدمها في ممارستها المهنية في المجالات المختلفة. ويتطلب الأداء المهني اكتساب الأخصائي الاجتماعي

لمجموعة من المهارات مثل المهارة في تقدير واستخدام المشاعر الإنسانية والمهارة في تكوين العلاقة المهنية والمهارة في تحليل المواقف والمهارة في استخدام العلاقات الجماعية إلى غير ذلك من المهارات.

وتهدف الخدمة الاجتماعية إلى مساعدة الناس على مواجهة مشكلاتهم الفردية والجماعية والمجتمعية وتعمل على زيادة الأداء الاجتماعي لهم وكذلك إلى إحداث تغيرات في النظم الاجتماعية لتكون أكثر قدرة على الإسهام في تحقيق الرفاهية الاجتماعية وتوفير مقومات التفاعل الاجتماعي الفعال من خلال أساليبها علاجية ووقائية وإنمائية.

والمعايير الأخلاقية في الخدمة الاجتماعية واضحة لكل المنتمين إليها ويلتزم بها الأخصائي الاجتماعي في أدائه المهني كاحترام الإنسان كإنسان والحفاظ على السرية والاعتراف بحق تقرير المصير وتقبل العميل كما هو لا كما ينبغي أن يكون عليه.

ومن خلال المناقشات السابقة يمكن أن نحدد المعالم الأساسية للخدمة الاجتماعية على النحو التالي:

- الخدمة الاجتماعية منهج مزدوج بمعنى أنها تهتم بجانبي الإصلاح، أي مساعدة المواطنين على النمو والتكيف في المجتمع من ناحية ومساعدة المجتمع على التغير لمقابلة احتياجات المواطنين من ناحية أخرى.
- الخدمة الاجتماعية عملية توصيلية بمعنى أنها تساعد الأفراد والجماعات والمجتمعات على الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من مصادر المساعدة الموجودة في المجتمع.

- للخدمة الاجتماعية منهج علمي للعمل مع الناس بمعنى أن الخدمة الاجتماعية تبني مبادئها وأساليبها على حقائق علمية توصلت إليها العلوم الاجتماعية عن طريق البحث والتجريب وما توصلت إليه من حقائق من خلال ممارساتها في المجالات المختلفة.
- الخدمة الاجتماعية طريقة لا ميدان بمعنى أنه إذا كانت النظم الاجتماعية تتحدد في المجتمع عادة بعاملين: الطريقة والميدان، فالتربية والتعليم مثلاً لها طريقة في العمل ولها ميدان أيضاً هو المدارس أساساً والصحة لها طريقة في العمل ولها ميدان أيضاً هو المستشفيات أساساً..الخ، فإن الخدمة الاجتماعية لها طريقة في العمل وتكاد لا تتحدد بميدان من الميادين، فنحن نجدها في المصنع والمستشفى والمدرسة والعيادة النفسية والسجون والأندية والمجتمع عامة..الخ، بل إن هذه الميادين ليست ثابتة فهي تتحدد وتتغير وتتسع بتطور المجتمع وظهور مشكلات اجتماعية في ميادين جديدة.
- تمتاز الخدمة الاجتماعية بالمرونة العالية؛ فحيث أن مشكلات الإنسان متجددة ومتنوعة فإن هذا يستلزم أن تتصف الخدمة الاجتماعية بالمرونة العالية وأن يتصف الأخصائيون الاجتماعيون أيضاً بالمرونة حتى تتمكن من الانتقال من ميدان إلى ميدان ومن مشكلة إلى مشكلة– فتكيف أساليبها في العمل دون خوف أو تردد ما دامت متمسكة بمبادئها ومهنيتها.
- تنظر الخدمة الاجتماعية للإنسان كوحدة متكاملة، بينما تنظر إليه المهن الأخرى من نواح معينة تهمها. فالصحة تنظر إليه من الناحية

الفسيولوجية ، والاقتصاد ينظر إليه من ناحية الدخل والاستهلاك ، والترويح ينظر إليه من ناحية وقت الفراغ أساساً ...إلخ، أما الخدمة الاجتماعية فتنظر إليه كوحدة حية نامية ذات علاقات في المجتمع سواء كان فرداً أو جماعة أو مجتمعاً باعتباره وحدة لا يمكن تجزئتها.

- تتعامل الخدمة الاجتماعية مع العملاء بطريقة الاتصال المباشر عن طريق المقابلة الفردية أو الاجتماع مع عدد محدود من الناس. وحتى في عملها مع المجتمعات فهي تتصل بالمجتمع عن طريق ممثلين له فيجتمعون على شكل مجالس أو اتحادات يكون موقفها موقف الجماعة الصغيرة. وفي هذه المقابلات الفردية أو الاجتماعات الصغيرة يكون التفاعل كاملاً بين العملاء من ناحية والأخصائي الاجتماعي من ناحية أخرى مما يجعل احتمال التأثير في العملاء أكبر بكثير من طريقة الإرشاد عن طريق الوسائل الأخرى.
- الخدمة الاجتماعية قد يكون هدفها علاجياً أو وقائياً أو إنمائياً حيث اتجهت الخدمة الاجتماعية في الغرب اتجاهاً علاجياً لفترة طويلة نسبياً وذلك لتأثرها بالطب النفسي على أن هذا لا يعني أن الخدمة الاجتماعية كانت كذلك أو سوف تبقى على حالها في المستقبل فجميع الدلائل تشير إلى زيادة الاهتمام بالبرامج الوقائية والإنمائية، والواقع أننا إذا نظرنا لطرق الخدمة الاجتماعية المعروفة لوجدنا أن خدمة الفرد تهتم أساساً بالبرامج العلاجية أما طريقتي العمل مع الجماعات وتنظيم المجتمع فتهتمان أساساً بالبرامج الوقائية والإنمائية .

- الخدمة الاجتماعية لا تقوم على خدمة فئة معينة، فهي لا تختص بالفئات الفقيرة مثلا دون باقي الفئات أو المنحرفين دون الأسوياء وإنما يمتد اختصاصها إلى كل فئات المجتمع.

الخدمة الاجتماعية ليست علماً نظرياً، فإذا كان علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والاقتصاد...الخ في ميدان العلوم الإنسانية كلها علوم نظرية، فإن التربية والإدارة والخدمة الاجتماعية والإرشاد...الخ تعتبر علوماً تطبيقية تستمد أصولها من العلوم النظرية– ومهمة العلوم النظرية هي دراسة طبيعة الشيء واستنباط القواعد العامة بخصوصه أما مهمة العلوم التطبيقية فهي استخدام القواعد المذكورة فيما يهم الإنسان.

وتستند الخدمة الاجتماعية إلى قاعدة علمية عريضة ومجموعة من المعارف العملية التطبيقية مستمدة من حقائق العلوم الاجتماعية من ناحية بالإضافة إلى ما استخلصته الخدمة الاجتماعية من خلال ممارساتها في مجالات الحياة الإنسانية المتعددة. وفيما يلي استعراض عام عن أهم العلوم الاجتماعية التي ترتبط ارتباطا مباشرا بالخدمة الاجتماعية.

(٢) علم الاجتماع:

القول بأن العلوم الاجتماعية لم تظهر بصورة قوية كمجالات مستقلة من مجالات المعرفة إلا مؤخراً لايعني أنها قد ظهرت فجأة أو جاءت من فراغ. فقد انشغل المفكرون الاجتماعيون والأفراد منذ أقدم العصور بالتفكير في مختلف شئون الحياة، وتوصلوا إلى كثير من الآراء والفلسفات المتعلقة بنظم السياسة والاقتصاد والتربية والأسرة والمجتمع. وبرزت تلك الآراء والفلسفات بشكل واضح

في التفكير الاجتماعي في العالم القديم وبلاد مابين النهرين، وفيما خلفه لنا فلاسفة الإغريق وحكماء الصين وعلماء المسلمين والعرب، وخاصة خلال الفترة التي امتدت من القرن الأول الهجري، الموافق للقرن السادس الميلادي، وحتى بداية عصر النهضة الأوروبية.

وإذا ما نظرنا مثلاً الى مايحدده التراث الغربي للبدايات الأولى لعلم الاجتماع مثلاً نجد أن عام ١٨٥٠ يعتبر نقطة انطلاقة، إذ أن كتابات أوجست كونت كانت قد ظهرت في ذلك التاريخ، وكذلك الأعمال المبكرة لكل من هربرت سبنسر وكارل ماركس . إلا أن البدايات الحقيقية لهذا العلم كانت قد بدأت قبل ذلك بكثير عندما قام المفكر العربي عبد الرحمن ابن خلدون (١٣٣٢ – ١٤٠٦م) بتأليف مقدمته الشهيرة في القرن الرابع عشر الميلادي. وكذلك الحال بالنسبة للعديد من العلوم الاجتماعية الاخرى التي خرجت الى الوجود قبل وقت طويل، إلا أنها لم تتبلور كعلوم مستقلة ولم تتطور في منهجيتها وأسسها النظرية إلا قبل وقت قريب.

ظهور علم الاجتماع:

على الرغم من أن البدايات الأولى لعلم الاجتماع كانت قد جاءت على يد العلامة العربي عبد الرحمن ابن خلدون قبل قرون عديدة، إلا أنه وبمفهومه العلمي واستقلاله الذاتي يعتبر من أحدث العلوم الاجتماعية. ولم تكن الدراسات الاجتماعية آنذاك مستقلة بصورة واضحة عن غيرها، بل كانت أقرب الى الفلسفة الاجتماعية حتى جاء المفكر الايطالي "فيكو Vico " (١٦٦٨ – ١٧٧٤م) بدعوته لتطبيق المنهج العلمي في دراسة الظواهر الإنسانية. ثم جاء بعده "سان

سيمون Saint Simon " (١٧٦٠-١٨٢٥م) وطالب بدراسة الظواهر الاجتماعية بنفس الطريقة التي تدرس بها الظواهر الطبيعية، حيث شبه المجتمع بالكائن الحي والذي يجب دراسته بشكل علمي لاكتشاف القواعد والقوانين التي يخضع لها. وقد تأثر "أوجست كونت Auguste Comte " (١٧٩ -١٨٥٧) كثيراً بآراء"سان سايمون"، ودعا إلى إنشاء علم جديد مستقل أسماه "علم الاجتماع Sociology ".

وقد تأثرت نشأة العلوم الاجتماعية بصفة عامة وعلم الاجتماع بصفة خاصة في أوروبا بعدة عوامل كان من أهمها ثلاثة، وهي: عصر التنوير والثورة الصناعية والثورة الفرنسية. ففي خلال القرن الثامن عشر ازدهرت بعض الفلسفات الاجتماعية التي تأثرت بمرحلة مابعد انهيار هيمنة الكنيسة ونظام الاقطاع خلال فترة أطلق عليها عصر التنوير وقد اتجه منكروه وفلاسفته الى نقد الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والواقع الأوروبي بكل جوانبه. وتنادي فلسفة التنوير بتحكيم العقل والايمان بقدرته على فهم الكون وتحقيق حاجات الانسان، وبدراسة كل النظم الاجتماعية والسياسية والدينية والاخلاقية في المجتمع من وجهة نظر عقلية بحتة، واستخدام نفس أسلوب العلوم الطبيعية لفهم وتفسير الظواهر الانسانية. ولم تكن تلك المرة الاولى التي ينادي فيها بضرورة دراسة المجتمع بطريقة علمية، فقد سبق عبد الرحمن ابن خلدون جميع هؤلاء في الدراسة العلمية للظاهرة الاجتماعية وارساء قواعد علم الاجتماع بصفة عامة. فقد اثبت في مقدمته الشهيرة أن الظواهر الاجتماعية محكومة بقوانين تشبه القوانين التي تحكم ما عداها من ظواهر الكون، كظواهر الفلك والطبيعة والكيمياء والحيوان

والنبات، وطالب بدراسة المجتمع الانساني دراسة علمية تحليلية لاكتشاف القوانين التي تخضع لها تلك الظواهر. ولم يكن اسم "علم الاجتماع" مستخدماً آنذاك، أما الاسم الذي استخدمه ابن خلدون هو "علم العمران البشري".

وقد كان لقيام الثورة الصناعية في اوروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أكبر الأثر في نشأة علم الاجتماع حيث تغيرت ظروف العمل ونظم الملكية، وظهرت المدن الصناعية التي ساعدت على انتشار الحضرية كأسلوب بديل للحياة، وطغت القيم الفردية على القيم الجمعية مما زاد الأفراد احساساً بالعزلة والاغتراب وساهم في انتشار الجريمة والانحراف. وساهم التقدم التكنولوجي وظهور نظام المصانع الحديثة في زيادة الانتاج وتغيير أنماط الاستهلاك، والقضاء على نظام تقسيم العمل التقليدي وانهيار الروابط الاسرية التقليدية، وارتفاع نسبة الهجرة من الريف الى المدينة وما ترتب على ذلك من مشاكل. وقد كان لهذه التغييرات التي أحدثتها الثورة الصناعية أثر كبير في ظهور العديد من التيارات الفكرية المتعارضة عند تناول المجتمع الصناعي بالدراسة والتحليل.

وتعتبر الثورة الفرنسية التي حدثت في عام ١٧٨٩م واحدة من العوامل الهامة التي أثرت في نشأة علم الاجتماع ومسيرته لما أثارته من عاطفة وأشعلته من فكر، ولما تسببت فيه من آراء واجتهادات فيما يتعلق بالانسان ومستقبله. وقد أحدثت الثورة الفرنسية تغييراً جذرياً في المجتمع الفرنسي أمتدت آثاره لتشمل أوروبا كلها. ونتجت من جراء ذلك حركة واسعة ودؤوبة في التفكير النظري الفلسفي والسياسي والاجتماعي.

ويضع علم الاجتماع الأسس النظرية والمنهجية للعديد من العلوم الاجتماعية الأخرى ويرتبط ارتباطا وثيقا بها جميعا، حيث أنه يهتم بالعنصر الأساس الذي تدور حوله كل اهتمامات العلوم الاجتماعية وهو الإنسان. ولعل من أكثر العلوم الاجتماعية ارتباطا بعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية الذي يتناوله الجزء التالي بشيء من التفصيل.

(٣) الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان، والكلمة يونانية الأصل وذات شقين: "أنثروبوس" (Anthropos) ومعناها "الإنسان، و "لوجوس" (logos) ومعناها "علم" أو "دراسة" وللأنثروبولوجيا فرعان رئيسيان هما الأنثروبولوجيا الطبيعية (أو الفيزيقية) والأنثروبولوجيا الاجتماعية (أو الثقافية).

والأنثروبولوجيا الطبيعية تتناول دراسة الإنسان ككائن بيولوجي أو طبيعي، مثله مثل أي كائن حي آخر ينمو ويتكاثر عن طريق التناسل. فهي تدرس خصائص الإنسان البيولوجية ومميزاته الجسدية كما تحاول أن تصنف البشر على أساس الخصائص الطبيعية الموروثة إلى سلالات وأجناس ومجموعات مختلفة وعلاقته بالبيئة الطبيعية التي يعيش فيها ويمثل جزءاً منها.

أما الأنثروبولوجيا الاجتماعية فهي تتخطى دراسة الإنسان ككائن بيولوجي أو عضوي إلى دراسة الإنسان ككائن اجتماعي، أي أنها تدرس انتمائيته للمجتمع وتهتم بالعلاقات التي تربطه بغيره من الناس، خاصة أولئك الذين يشاركونه العيش في مكان وزمان معينين، ووضعه في الشبكة من العلاقات. كما تتناول الأنثروبولوجيا الاجتماعية طبيعة التنظيم الاجتماعي لهذه الشبكة العلائقية

ووسائله المتمثلة في مختلف الأجهزة والنظم الاجتماعية، والتي تكون في مجملها ما يعرف بالبناء الاجتماعي وعلاقته بثقافة المجتمع، أي بمجموعة قيمة ومثله وأحكامه وكل ما يميز تجربته ونمط حياته من غيره من المجتمعات، متبعة منهجاً كلياً وشمولياً في دراسة المجتمع.

ويتلخص الهدف من دراسة الأنثروبولوجيا فيما يلي:

١) وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفاً دقيقاً، ويتم ذلك بالعيش بين المجموعة أو الجماعة المدروسة وتسجيل كل ما يقومون به من سلوكات في معاملاتهم الحياتية.

٢) تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها للوصول إلى أنماط إنسانية عامة في مراتب التطور الحضاري (بدائي، زراعي، صناعي، معرفي).

٣) تحديد أصول وأسباب التغير الذي يحدث للإنسان وعملياته بدقة، ويكون ذلك بالرجوع إلى التراث وربطه بالحاضر وإيجاد عناصر التغير المختلفة.

٤) استخلاص مؤشرات وتوقعات للاتجاه المحتمل للتغير في الظواهر المدروسة سابقة الذكر، وامكانية التنبوء بمستقبل الجماعة المدروسة.

وقد اهتم علماء الأنثروبولوجيا الأوائل بدراسة المجتمعات الصغيرة والبسيطة، وما يسمى بالمجتمعات "البدائية"، وكان أهم ما يبحثون عنه هو اللغات والعادات الغريبة التي تختلف عما كان سائداً في مجتمعاتهم المتحضرة. وقد ميز هذا التوجه (أي الاهتمام الخاص بدراسة المجتمعات البدائية) علم الأنثروبولوجيا

عن غيره من العلوم الاجتماعية الأخرى.غير أن أهم ما يميز علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية عن غيره من العلوم الاجتماعية الأخرى هو منهجه البحثي الذي يسمى المنهج الكلي التكاملي، وهو منهج يهتم بدراسة جميع عناصر الثقافة في مجتمع ما.

ويدرس علم الأنثروبولوجيا الإنسان من حيث تطوره وسلوكه وأنماط حياته ولكنه ليس العلم الوحيد الذي يدرس الإنسان فهناك علم النفس مثلاً يشارك الأنثروبولوجيا في دراسة سلوك الإنسان، ولكن الخلاف بين علم النفس وعلم الأنثروبولوجيا أن الأول يركز على سلوك الفرد أما الأنثروبولوجيا فتركز على السلوك الإنساني عامة وتدرس السلوك الإنساني عامة وتدرس السلوك الجماعي النابع من تراث الجماعة لذا فدراسة الأنثروبولوجيا دراسة للأنماط السلوكية الإنسانية.

إن مجال الدراسة لكل من الأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم الاجتماع هو مجال واحد: دراسة المجتمع ككل. أي دراسة مجموعة العلاقات والنظم التي تسود في المجتمع وتكون مجتمعة وحدة مترابطة ومتكاملة. أي أن مدخل كل من العلمين لدراسة المجتمع مدخل متشابه: هو الدراسة الكلية أو التكاملية للمجتمع وبالتالي يختلفان من العلوم الاجتماعية الأخرى كالاقتصاد والعلوم السياسية، فالاقتصاد يهتم بدراسة النظام الاقتصادي فقط والعلوم السياسية تهتم بدراسة النظام السياسي فقط أي يقتطع كل من علم الاقتصاد والعلوم السياسية شريحة واحدة من مجموع العلاقات الاجتماعية وتركز على دراستها ولا تهتم كثيراً بالعلاقات التي تربط هذه الشريحة مع سائر الشرائح الأخرى في المجتمع بينما

الوصول إلى هذه العلاقة هو من أهم اهتمامات كل من الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية.

كذلك يتفق علما الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية في الاهتمام بحاضر وماضي المجتمعات الإنسانية ويختلفان عن علم التاريخ الذي يتناول الظواهر الاجتماعية كأحداث معينة وخاصة: أي أن علم التاريخ يهتم بالخاص بينما يهتم كل من الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية بالتعميم من الخاص.

كما يتفق علم الاجتماع مع علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية في ضرورة دراسة المجتمع كما هو وليس كما ينبغي أن يكون وهما بذلك يختلفان عن علم الأخلاق أو فلسفة الأخلاق والتي تدرس السلوك الإنساني كما ينبغي أن يكون. إلا أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تعطي اهتماماً أكبر للدراسة الميدانية للمجتمعات الصغيرة، بينما يهتم علم الاجتماع بالمجتمعات الكبيرة، خاصة الصناعية منها والحضرية.

كما يوجد أيضاً اختلاف في منهج البحث عند كل منهما. فالأنثروبولوجيا الاجتماعية بحكم تركيزها على المجتمع الصغير تعتمد منهج الدراسة الحقلية المباشرة التي تقوم على مبدأ المعايشة الطويلة والمكثفة للمجتمع المعني وأخذ المعلومات عن هذا المجتمع عن طريق الملاحظة بالمشاركة أي ملاحظة ما يقوم به أهالي المجتمع من أنشطة مختلفة وما يعكسونه من سلوك أثناء تأدية هذه الأنشطة مع الالتزام بمبدأ المشاركة الفعلية في هذه الأنشطة من قبل الباحث. ويستطيع الباحث الاجتماعي أن يعمم ما يستنتجه من ملاحظات عن هذا المجتمع بحكم التشابه والتجانس بين أفراد المجتمع.

أما في حالة المجتمع الكبير فلا يستطيع الباحث الاجتماعي أن يعمم أي استنتاج من ملاحظة السلوك لأفراد معينين أو نشاط محدد نسبة لكبر حجم هذا المجتمع وتنوع أنشطته واختلاف أفراده وعدم التجانس بينهم. وبالتالي كان اعتماد علماء الاجتماع الأكبر على منهج الاحصائيات والمقابلات والاستبيانات.

والنظرة الشمولية هي ميزة خاصة للأنثروبولوجيا عن غيرها من العلوم التي تعني بدراسة الإنسان. وهي مرتبطة بالمنظور الوظيفي في الدراسات الأنثروبولوجيا التي يرتكز على الاعتماد المتبادل بين الظواهر الاجتماعية وينظر إلى المجتمع كوحدة تتكامل داخلها الأجزاء والتي تتبادل التأثير فيما بينها.

وهناك أيضاً علاقة قوية بين الأنثروبولوجيا والاقتصاد حيث أن الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة بعض الظواهر التي يوليها عالم الاقتصاد اهتمامه، كإنتاج السلع والخدمات وتوزيعها واستهلاكها فضلاً عن ذلك فإن عالم الأنثروبولوجيا يهتم بدراسة العلاقة بين هذه النظم والانساق الفرعية من ناحية وبين الجوانب الأخرى للنسق الاجتماعي الثقافي الكلي من ناحية أخرى.

وهناك صلة وثيقة بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس فهناك الأنثروبولوجيا النفسية التي تدرس المظاهر السلوكية العامة للجنس البشري حين يعيشون في جماعة أو طبقة أو مصنع، ويدرس هذا الفرع الخصائص العقلية والسلوكية في مختلف الأنماط الثقافية. وبذلك تعالج الأنثروبولوجيا السيكلوجية الجوانب العامة لسيكلوجية الثقافات والمجتمعات بحثاً عن روح الجماعة ونفسية الشعوب، أي أنها تسعى للكشف عن روح الجماعة وضميرها وذلك من خلال الخصائص العقلية والأنماط السلوكية التي تتسم بها الشعوب والثقافة الإنسانية.

(٤) علم النفس:

يتميز علم النفس بين العلوم الاجتماعية الأخرى بأنه كان أشدها ارتباطاً بالفلسفة وبالعلوم الطبيعية الأخرى، وأكثرها إثارة للجدل حول كنهه. ولم يستقر تصنيف علم النفس من بين العلوم الأخرى إلا مؤخراً، فكان يصنف ضمن علوم المجال الطبيعي تارة، وضمن علوم المجال الاجتماعي تارة أخرى، حيث كان التصنيف معتمداً على طبيعة الفرع في علم النفس ومدى إرتباطه بالمتغيرات الفردية أو الاجتماعية أو غيرها. وقد استمر علم النفس كفرع من فروع الفلسفة وظل متصلاً بها حتى أواخر القرن التاسع عشر.

ويرى الغربيون أن " أرسطو" هو المؤسس الأول لعلم النفس بالرغم من وجود محاولات أخرى قبله لكل من سقراط (٣٨٤ – ٣٢٢ ق م) وافلاطون (٤٢٨ – ٣٤٨ ق م).. إلا أن مجهودات أرسطو لاستخدام المنهج العلمي القائم على الاستقراء والملاحظة جعلته يحتل مكاناً مرموقاً في تاريخ هذا العلم. ويرى أرسطو أن النفس هي جوهر الكائن الحي وسبب وجوده، وأن النفس والجسم يكونان جوهراً واحداً لايتجزأ، حيث أن الانسان مادة وصورة – أي أنه وحدة جسمية نفسية.

ولقد ذخر التراث العلمي الاسلامي بالكثير من المساهمات التي قدمها علماء المسلمين في مجال علم النفس، فتحدثوا عن النفس وألفوا حولها كتباً ما زالت تحتل الصدارة حتى يومنا هذا. وقد أثرت هذه الكتابات كثيراً في أفكار الغربيين فتأثروا بها واقتدوا بها واقتبسوا منها، وخاصة أفكار العلامة ابن سينا التي أثرت كثيراً في أفكار الفلاسفة اللاتينيين طوال القرون الوسطى وحتى عصر النهضة، أما مباشرة أو عن طريق الغزالي .

وفي فترة عصر النهضة الأوروبية انتقل علم النفس إلى مرحلة جديدة من التطور النظري والمنهجي. ففي تلك الفترة انتعشت مجالات العلوم الطبيعية مما أدى إلى انتعاش العلوم الأخرى المتصلة بها. وكان "رينية ديكارت" (١٥٩٦ – ١٦٥٠م) أحد معالم تلك الفترة حتى أنه قد وصف بالمؤسس الثاني لعلم النفس لما جاء به من اسهامات كبيرة استخدم فيها الاكتشافات العلمية الكبيرة التي تمت في حقول المعرفة الأخرى. وقد ميز "ديكارت" بين النفس والجسم وأشار إلى أن العلاقة بينهما هي علاقة تفاعل ميكانيكي يحدث في الغدة الصنوبرية الموجودة أسفل المخ، كما أن العقل هو أمر خاص بالانسان وحده ووظيفته هي الشعور. وبناء على ذلك تحول موضوع علم النفس من الروح أو العقل إلى الشعور.

ثم ظهرت مدرسة معاصرة "لديكارت" أسسها الفيلسوف الانجليزي "جون لوك" (١٦٣٢ – ١٧٠٤) سميت بالمدرسة الترابطية (أو الارتباطية) في علم النفس، وكان لها أثر كبير في توجيه الدراسات النفسية حتى أواخر القرن التاسع عشر، وترى هذه المدرسة أن التجربة عن طريق الحواس هي الأساس الوحيد للمعرفة، وأن مهمة علم النفس هي تحليل العمليات العقلية إلى عناصرها من احساسات وحركة وصور ذهنية ومعانٍ ثم تفسير تجمعاتها وانتظامها في وحدات مركبة. وقد سيطرت هذه المدرسة على الفكر السيكولوجي ردحاً من الزمن، حتى نهضة العلوم في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حيث أصبح علم النفس علماً قائماً بذاته وفرعاً مستقلاً من فروع المعرفة التجريبية.

ومع زيادة اهتمام الفكر الانساني بدراسة الظواهر الطبيعية واضطراد الاكتشافات العلمية في العلوم الطبيعية المختلفة واكتشاف وظائف الجهاز

العصبي، تأثر مجرى الدراسات السيكولوجية وتطورت مناهجها البحثية مما أدى إلى ظهور العديد من المدارس، من بينها ما يلي:

١/ المدرسة البنائية : تهدف هذه المدرسة إلى وصف البناء أو التركيب النفسي للإنسان، ودراسة "الخبرة الشعورية" أو محتويات الشعور مثل الإحساسات والصور الذهنية والمشاعر. ومن أبرز رواد هذه المدرسة الألماني " فوندت Wundt " و " تتشنر Titchener ".

٢/ المدرسة الوظيفية: اختلفت هذه المدرسة مع المدرسة البنائية ورأت أن علم النفس يجب أن يدرس الوظائف العقلية للإنسان أكثر من تحليله ووصفه لمكونات الشعور. وتهتم هذه المدرسة بدراسة القدرة على التكيف لدى الأفراد، حيث ان السلوك في نظرها هو العامل الأساسي في ذلك التكيف. ومن أبرز مؤسسيها "ديوي J. Dewey " و "أنجل J. R. Angell " وقد ساهما كثيراً في نمو الاختبارت النفسية وتطور علم النفس التطبيقي.

٣/ المدرسة السلوكية: ترى هذه المدرسة أن علم النفس هو علم "علم السلوك" وليس علم "الشعور" كما كان متبعاً في تسميته، لأن الشعور من وجهة نظرها هو إحساس لايدرك إلا صاحبه وأن من الصعوبة إخضاعه للملاحظة الموضوعية. فعلم النفس حسب رأي المدرسة السلوكية هو فرع تجريبي موضوعي من العلم الطبيعي يهدف إلى التنبؤ والتحكم في السلوك، وأن علم النفس يجب ألا يستخدم مصطلحات مثل الشعور والعقل والإرادة والتصور وغيرها، بل مصطلحات سلوكية مثل المثير والاستجابة والتعلم. ويعتبر " جون واطسون J. Watson " و "ايفان بافلوف E.Pavlow " من أبرز رواد هذه المدرسة.

٤/ مدرسة الجشطالت: "الجشطالت" كلمة ألمانية تعني "الصيغة" أو "الشكل العام". وقد بدأت هذه المدرسة في المانيا عام ١٩١٢ بقيادة "ماكس فرتهيمر M. Wertheimer " و "لفجانج كوهلر L.Kohler " و "كيرل كوفكا K. Koffka ". والفكرة الأساسية للمدرسة الجشطالتية هي أن الطريقة التي يتم بها إدراك موضوع ما يحددها السياق، أو الصياغة الكلية التي يوجد فيها الموضوع. أي أننا يجب أن ندرس الخبرة والادراك بشكل كلي لا جزئي، أي أن نبدأ من الكل إلى الجزء وليس العكس.

٥/ مدرسة التحليل النفسي: تعتبر مدرسة التحليل النفسي من أشهر المدارس في علم النفس. وقد أسسها "سيجموند فرويد 1939 - 1856) " Sigmond Freud) طبيب الأعصاب النمساوي. ويعني التحليل النفسي عند فرويد طريقة فنية للعلاج النفسي وتفسير أسباب أعراض الأمراض النفسية، وتعتمد هذه الطريقة على بعض المسلمات منها أهمية اللاشعور في الشخصية الانسانية ودوره في نشأة المرض النفسي، وأهمية مرحلة الطفولة المبكرة في تكوين الشخصية وفي اتجاهها إما إلى السواء أو إلى المرض النفسي، ودور الجانب الجنسي في نشأة الشخصية وتكوينها وفي الأمراض النفسية والعقلية التي تصيبها.

وقد لقيت نظرة فرويد في التحليل النفسي كثيراً من الانتقادات من أهمها اعتمادها على مسلمات وفروض بايولوجية غير متفق عليها، وعدم اتباع فرويد نفسه لأصول المنهج العلمي في صياغة فروضه ونظرياته وتحليلاته.

٦/ مدرسة تحليل العوامل: نشأت هذه المدرسة في جامعة لندن علي يد "تشارلس إسبيرمان 1945 - 1863) " C. Spearman). ومنهج التحليل العاملي هو منهج

رياضي استقرائي، يقوم بالبحث على أقل عدد من المكونات الأساسية للظاهرة النفسية بواسطة طرق احصائية معقدة . وقد استخدم هذا المنهج بنجاح كبير منذ أوائل القرن العشرين، خاصة في بحوث الذكاء والقدرات العقلية وبحوث الشخصية.

موضوع علم النفس:

لم يكن موضوع علم النفس واحداً في كل الظروف في المراحل الأولى من تطوره لكثرتها وتعدد المدارس وعدم وقوفه كعلم مستقل وذوبانه وسط علوم أخرى بعضها ينتمي إلى المجال الطبيعي وبعضها الآخر إلى المجال الاجتماعي.

في البدء كان موضوع علم النفس عند الفلاسفة القدماء هو البحث في ماهية النفس أو طبيعة العقل، ثم جاء علماء القرن السابع عشر بقيادة "رينية ديكارت" وقرروا أن علم النفس هو علم "الشعور" نسبة لأن الإنسان يمتاز على الحيوان بالعقل، ووظيفة العقل هي التفكير والشعور. بعدها ظهرت مدرسة أخرى ترفض فكرة "الشعور" وتستبدلها "بالسلوك"، باعتبار أن الكائن الحي تحركه مثيرات فيزيقية تصدر عنها استجابات مختلفة تمثل مجال اهتمام علم النفس.

وبالنظر إلى كل هذه الاتجاهات المختلفة يتضح لنا أننا لا نستطيع أن نقصر علم النفس على الشعور فقط، أو على اللاشعور فقط أو على عنصر واحد أيا كان. فموضوع علم النفس هو الإنسان حيث هو كائن حي يرغب ويحس ويدرك وينفعل ويتذكر ويتعلم ويتخيل ويفكر ويعبر ويريد ويفعل. وهو في كل ذلك يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه ويؤثر فيه. وليست الظاهرة السايكولوجية سوى

سلوك الإنسان من حيث هو وحدة لايتجزأ وشخصية متكاملة فعالة ومتفاعلة. وإذا نظرنا إلى التعريفات المختلفة لعلم النفس لوجدنا أنها كلها تتفق على الآتي:

(أ) علم النفس يدرس السلوك.

(ب) السلوك المقصود هنا يشمل النشاطات الحركية والعقلية والانفعالية.

(جـ) وجود تأثير متبادل بين الفرد والمجتمع.

وبناء على ذلك فيمكننا القول بأن علم النفس يهتم بدراسة السلوك بمعناه العام الواسع باعتباره نتاج تفاعل الانسان مع البيئة، كما يدرس عملية التوافق التي تتم بين الفرد والمجتمع ومدى هذا التوافق واستمراره.

فروع علم النفس:

لعلم النفس فروع عديدة في المجالين النظري والتطبيقي وأهم فروعه النظرية هي:

١ – علم النفس العام (General Psychology):

ويعنى باستخلاص المبادئ العامة والقوانين التي تدفع الأفراد الي سلوك ما، كما يبحث في القوانين العامة التي تخص اهتمامات علم النفس مثل الاحساس، والإدراك، والانتباه، والتذكر، والتصور، والتخيل، والتفكير وما إلى ذلك.

٢ – علم النفس التكويني (Developmental Psychology):

يدرس هذا الفرع ظاهرة النمو والعوامل المؤثرة فيها ومميزاتها العامة ومراحلها وسرعتها والخصائص العامة لكل مرحلة من مراحل النمو التي يمر بها الفرد منذ

مرحلته الجنينية وحتى مرحلة الشيخوخة. وقد يسمى في بعض الأحيان باسم علم نفس النمو أو "علم النفس الارتقائي".

٣ – علم النفس الاجتماعي (Social Psychology):

يهتم هذا الفرع بدراسة سلوك الفرد باعتباره كائن اجتماعي يعيش في بيئة اجتماعية يتأثر بها ويؤثر فيها، بغرض اكتشاف المبادئ والقوانين العامة التي تفسر السلوك الجماعي.

٤ – علم نفس الشواذ (Abnormal Psychology):

يهتم هذا الفرع بتلك الفئة من المجتمع ممن يتميزون بسلوك خاص بهم، وعادة ما يكون سلوكاً غير سوي أو غير مألوف كضعاف العقول والمجانين. كما يشمل اهتمامه أيضاً النوابغ الذين تعلو عقلياتهم في مستواها علواً كبيراً عن عقليات العاديين.

٥ – علم نفس الحيوان (Animal Psychology):

تقوم موضوعات هذا الفرع على المقارنة بين سلوك الانسان والحيوان في الخبرات والغرائز والدوافع والتعلم البسيط والسلوك الاجتماعي، وذلك لمعرفة الأسس السايكولوجية العامة للسلوك الحيواني. كما أن علماء النفس قد وجدوا أنهم يستطيعون التحكم في بعض المواقف التجريبية على الحيوانات أفضل منها على الانسان، وأن هناك بعض التجارب التي يمكن إجراؤها على الحيوان ولا يمكن إجراؤها على بني البشر.

ويقوم علم النفس بتطبيق الحقائق والمبادئ التي تكشف عنها فروع علم النفس العام في جميع أوجه النشاط المختلفة، ويسمى ذلك بعلم النفس التطبيقي.

أما أهم فروع علم النفس التطبيقية فهي:

١/ علم النفس التربوي (Educational Psychology):

تشمل مجالات علم النفس التربوي كل ما يدخل في عملية النمو التربوي كما تمارسه المدرسة. فهو يدرس المقومات السلوكية للأهداف التربوية – أي يحاول ترجمة الأهداف التربوية إلى المقومات السلوكية التي يجب أن يكتسبها الناشئ حتى يكون صالحاً لمجتمعه.

٢/ علم النفس الصناعي (Industrial Psychology):

يهدف علم النفس الصناعي إلى المساهمة في تحقيق هدفين أساسيين هما زيادة الانتاج وتحقيق الكيف المهني للعامل أما من خلال وضعه في العمل الملائم له أو تكييف العمل نفسه بحيث يلائم العامل. كذلك يحاول تحقيق العلاقات الانسانية السليمة بين الإدارة والعمال والعمل.

٣/ علم النفس التجاري (Commercial Psychology):

يقوم علم النفس التجاري بالبحث في سيكولوجية المستهلك لتحديد دوافع الاستهلاك، وسيكولوجية البيع والإعلان ووسائل تسويق التجارة وجميع المسائل السايكولوجية المرتبطة بالعلاقة بين البائع والمستهلك.

٤/ علم النفس الجنائي (Criminal Psychology):

يقوم هذا الفرع بدراسة العوامل النفسية التي تؤدي إلى حدوث الجرائم والانحرافات وخرق القانون. كما يقوم بدراسة الجوانب السايكولوجية للمجرمين لتقديم الوسائل العلاجية أو الاصلاحية المناسبة لهم. ويعتبر علم النفس الجنائي الجانب التطبيقي لعلم نفس الشواذ.

٥/ علم النفس الاكلينيكي (Clinical Psychology):

علم النفس الأكلينيكي هو العلم الذي يتناول تشخيص الأمراض النفسية والعقلية واضطرابات السلوك وعلاجها. وهو في سبيل تحقيق ذلك يستعين بوسائل وأدوات علمية. ويتم هذا التشخيص وذلك التوجيه والعلاج في عيادة أو مكان مشابه مخصص لهذا الغرض .

٦/ علم النفس الحربي (Military Psychology):

يستخدم علم النفس الحربي في مختلف جوانب الجيوش الحديثة خاصة فيما يتعلق بالجوانب النفسية المرتبطة بكيفية توزيع الجنود على الحرف والأسلحة والمتنوعة وقياس قدراتهم ومعرفة قدراتهم. كما يعني بوضع الاختبارات لمعرفة حالات المرض النفسي لعلاجها ورفع الروح المعنوية للجنود.

ومنذ بداياته الأولى بدأ علم النفس في تنسيق مفاهيمه ومناهجه مع العلوم الأخرى حتى يحقق مكانه بين مختلف المعارف كعلم موضوعي يقوم على التجريب ويستخدم القياس. وقد أثرت الكيمياء في علم النفس فجعلت علماءه يستخدمون المنهج التحليلي فأخذوا يحللون الخبرة الشعورية عند الفرد إلى عواملها

الأولية. كما تأثر علم النفس بالفسيولوجيا علم وظائف الأعضاء. في تحليل عمليات التعلم والتذكر والحفظ ... الخ. أما العلوم الاجتماعية الأخرى فقد ظلت في ارتباط وثيق معه لما تتميز به ظواهره التي يدرسها من تجذر عميق في المحيط الاجتماعي الذي يضمها.

والسلوك الانساني الذي يمثل مجال اهتمام علم النفس هو ظاهرة معقدة أو وحدة مركبة وله دوافع متعددة بعضها ناتج من الفرد نفسه والبعض الآخر ناتج من البيئة الاجتماعية والطبيعية، المحيطة بالفرد ولكل ظاهرة ظروف بيولوجية وأخرى اجتماعية يجب أخذها في الاعتبار أثناء دراسة تلك الظاهرة ،إضافة إلى الظروف السايكولوجية المتنوعة ،والتي ينحصر بعضها في دائرة الشعور والبعض الآخر في دائرة اللاشعور كبعض النزعات أو ما دخل دائرة اللاشعور كالاتجاهات الذهنية أو الأوضاع الخلقية التي تكونت عن طريق العادة .

والسلوك بصفة عامة يتم تحديده داخل الجو الاجتماعي الذي يعيشه الفرد، فقيم المجتمع وقوانينه ومعاييره هي التي تحدده وتؤثر فيه . ويسعى علم النفس لدراسة السلوك من أجل فهمه وتفسيره والتنبؤ باتجاهاته والعمل على ضبطه والتحكم فيه بتعديله أو توجيهه أو العمل على كفه أو تحاشيه أو منعه . وكل أنماط السلوك ترتبط بالأوضاع الاجتماعية وتتأثر بمختلف العوامل كالاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية ، إلى جانب العوامل الفردية المتعلقة بالشخص نفسه . وحتى الظواهر البايولوجية التي تصدر عن الإنسان يصبغها المجتمع بصبغته الخاصة ، فتصدر عن الأفراد محكومة بسماته ومعاييره وروحه .

وعليه فإن العديد من الجوانب السايكولوجية تتأثر بالعوامل الصادرة من المجتمع الذي يعيش فيه الفرد . فذكاؤه وخياله وتصوراته ومدركاته الحسية والعقلية لا يمكن أن تكون فريدة خالصة ، لأنها لابد وأن تتأثر بالتصورات الاجتماعية العامة . كما أن الكثير من الحالات لا يمكن فهمها فهما صحيحا إذا اقتصر تعليلها على العوامل السايكولوجية البحتة ، إذ لا بد من استعراض كافة العوامل الأخرى – اجتماعية ، اقتصادية ، بيئية ، ..الخ –التي تضافرت مع غيرها فترتبت عليها حالة ما أو سلوك ما .ولا شك في أن علم النفس يعطي الباحث في مجالات العلوم الاجتماعية المتنوعة معلومات أساسية عن الإنسان في علاقاته المتخصصة تلك ، كما أن تلك العلوم بدورها تعطي المتخصص في علم النفس معلومات أساسية عن العلاقات المتنوعة التي يدخل فيها الفرد والتي تؤثر في قيمه واتجاهاته ومعاييره السلوكية .

الفصل الثالث

علم السياسة

هناك ثلاثة اتجاهات رئيسية في تعريف علم السياسة. أول هذه الاتجاهات يربط علم السياسة بالدولة والحكومة ويصفه بأنه "علم الدولة "، وثانيهما يصفه بأنه "علم السلطة" أيا كان نوعها، وثالثهما ذلك الاتجاه الذي يحتل مركزاً وسطاً بين الاتجاهين السابقين ويصف علم السياسة بأنه "علم السلطة" ولكنه شكل معين من أشكال السلطة.

أ/ الإتجاه الأول: علم السياسة هو علم الدولة:

ويعتبر هذا الاتجاه من أقدم الاتجاهات وأكثرها تقليدية في تعريف علم السياسة. فهو يرى أن علم السياسة هو "ذلك الفرع من العلوم الاجتماعية الذي يتناول نظرية وتنظيم وحكومة وممارسة الدولة"، وهو بذلك يتناول كل ما يتعلق بشئون الدولة سواء على الصعيد الداخلي أم في علاقتها مع الدول الأخرى .

ويقول أنصار هذا الاتجاه أن فكرة الدولة كانت في صميم اهتمامات المفكرين منذ العصور الوسطى وحتى الآن. وكان الفلاسفة اليونان قد ركزوا فلسفتهم حول فكرة "الدولة المثلى" كما أنشأها افلاطون في كتابة "الجمهورية"، وتحدثوا عن "المدينة الفاضلة" كما جاء في كتابات الفارابي. كما تناول عبد الرحمن بن خلدون الدولة وازدهارها وانهيارها، وتركزت أفكار أخوان الصفا حول "الدولة الشرعية"، إضافة إلى أفكار أخرى حول الدولة كمحور للفكر السياسي باعتبارها التنظيم السياسي الأول.

ب/ الاتجاه الثاني: علم السياسة هو علم السلطة:

أما الاتجاه الثاني فيرى أن ظاهرة السياسة هي ظاهرة السلطة، وأن علمها – بالتالي – هو علم السلطة. وينال هذا الرأي رواجاً أكبر بين الباحثين والعلماء المعاصرين. وهنا تنتقل بؤرة الاهتمام من المؤسسات في حد ذاتها الى السلطة حيثما توجد، وبذلك تكون بؤرة إهتمام علم السياسة هي الصراع من أجل السلطة أو الاحتفاظ بها أو ممارستها على الآخرين أو لمقاومة هذه الممارسة .

والسلطة المقصودة هنا هي السلطة في معناها الواسع. فقد تكون السلطة الرسمية التي تمارسها الجهات الحاكمة، وقد تكون سلطة العشيرة أو النقابة أو الجمعية، الخ، كما قد توجد أيضاً في الأشخاص مثل سلطة الأب أو الأقارب أو الجماعات الأخرى المختلفة.

جـ/ الاتجاه الثالث: الموقف الوسط:

بين الرأيين السابقين يقف رأي ثالث يحتل مركزاً وسطاً، ويقول بأن علم السياسة هو علم السلطة، ولكنه لايترك هذه السلطة على إطلاقها كما يفعل الرأي الثاني، بل يحددها في المجموعات المركبة، أي المجموعات البشرية التي تتضمن في ذاتها عدة مجموعات، بعضها متداخل في الآخر كالحزب السياسي والدولة والمنظمة الدولية. أما السلطة في اشكالها الأخرى، كسلطة الأسرة والقبيلة فلا تدخل في علم السياسة، ولكنها أقرب إلى اهتمامات علم الاجتماع .

ووجه الضعف الرئيسي في هذا الموقف هو صعوبة التمييز مابين المجموعات المركبة والمجموعات البسيطة لما بينهما من تداخل مستمر، إضافة

إلى أن بعض هذه المجموعات البسيطة قد تتحول إلى مجموعات مركبة فيما بعد، أو العكس – فقد تتحول المجموعات المركبة إلى مجموعات بسيطة. كما أن بعض المجموعات البسيطة قد تدخل السلطة الموجودة فيها ضمن ما يصنف بالسلطة السياسية. فمثلاً مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لايتجاوز عدد أعضائه الخمسة عشر، كما أن مجالس الوزراء في الحكومات المختلفة هي مجموعات بسيطة، ولكن لا يمكن لعلم السياسة أن يبعدهما عن مجال اهتماماته.

والفارق الجوهري بين الاتجاهين الأول والثاني – أي بين الرأي الذي يعتبر أن علم السياسة هو علم الدولة والرأي الآخر الذي يرى أنه علم السلطة – مصدره موقف العلماء من الدولة. فأصحاب الاتجاه الأول يرون أن هناك اختلافاً أساسياً بين طبيعة الدولة وطبيعة المجموعات الانسانية الأخرى كالقبيلة أو النقابة مثلاً. فبينما تتمتع الأولى بالسيادة المطلقة والسلطة الكاملة، نجد أن المجموعات الأخرى لاتستمد سلطتها إلا منها. أما أصحاب الاتجاه الثاني فلا يعطون هذا الأمر اهتماماً كبيراً، ويرون أن مظاهر السلطة في الدولة أو في المجموعات الأخرى كلها واحدة، وأن الفرق ينحصر في الكم لا في الكيف، إذ لاتختلف هذه المجموعات في طبيعتها عن الدولة .

والرأي الغالب على أية حال هو الذي يعتبر أن علم السياسة هو علم السلطة،سواء كان بمفهومها الضيق أو الموسع. ومن أهم الحجج التي يسوقها مؤيدو هذا الرأي ما يلي :

١– الدولة لاتمثل محوراً للدراسات السياسية فحسب، بل أيضاً للدراسات الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية والقانونية وغيرها. إذن فعلم الدولة يمكن أن

يكون هذا الإطار أو ذاك، ولكنه لا ينحصر في مجال السياسة. واذا كان مفهوم الدولة قد برز فيما سبق كمحور لعلم السياسة، فقد جاء بتلك الصورة باعتبار أن مفهوم الدولة كان محور الفلسفة العامة للمفكرين وقد مثلت السياسة جزءاً هاماً من تلك الفلسفة، حتى استقلالها من الفلسفة فيما بعد كعلم قائم بذاته.

ب– ان السبب الأساسي لتمتع الدولة بالصفة السياسية هو احتواؤها على عنصر السلطة. فلولا عنصر السلطة لما احتلت الدولة تلك المرتبة. ولكن الدولة ليست هي المؤسسة الوحيدة التي تتمتع بعنصر السلطة، بل أنها توجد أيضاً في مختلف الجماعات المنظمة الأخرى كالأسرة والعشيرة والقبيلة والجمعية والنقابة، وما إلى ذلك.

جـ – الظاهرة السياسية قديمة قدم الانسان نفسه حتى قيل عن الانسان أنه حيوان سياسي. ولكن ظاهرة الدولة هي ظاهرة حديثة نسبياً، وبالتالي فإن الظاهرة السياسية ليست مرتبطة بالضرورة بالدولة. وقد برزت ظاهرة الدولة للوجود في المجتمعات الانسانية بعد مرحلة طويلة من التطور الاجتماعي. ويقول ارسطو في تفسيرة لنشأة الدولة أنها جاءت بالتطور العضوي من الأسرة الى العائلة الى العشيرة الى القبيلة ثم إلى الدولة. أما الاشتراكيون فيرون أن الدولة قد جاءت بعد التطور في وسائل الانتاج، وبعد أن أصبح بمقدور الفرد الواحد أن ينتج ما يشبع حاجاته الأساسية ويزيد عليها. ونظراً لذلك الفائض الانتاجي تعقدت اشكال السلطة ومراكز القوى مما أدى إلى بروز الدولة لتجسيدها وتنظيمها .

موضوعات علم السياسة:

لم يأخذ علم السياسة هذا الإسم إلا مؤخراً، حيث كان يعرف من قبل بإسم "العلوم السياسية" حتى قامت منظمة اليونسكو باستبدال ذلك المسمى بـ "علم السياسة" في عام ١٩٤٨ وحددت موضوعاته فيما يلي :

أ – النظرية السياسية: وتشمل تاريخ الفكر السياسي والنظرية السياسية.

ب– المؤسسات السياسية: وتشمل نظم الحكم والمؤسسات السياسية الرسمية والدستور والحكومة المركزية والحكومة الأقليمية والمحلية والادارة العامة ووظائف الحكومة الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسات السياسية المقارنة.

جـ– الأحزاب والفئات والرأي العام.

د– العلاقات الدولية: وتشمل السياسة الدولية والتنظيمات الدولية والقانون الدولي.

وقد ظهرت بعد ذلك فروع أخرى متعددة لعلم السياسة كالتحليل السياسي والسلوك السياسي وسياسات الدول النامية والتنمية السياسية والمنظمات الاقليمية وغيرها.

وقد اتجه الفلاسفة في العصور القديمة وجهة غائية مرتبطة بالاساطير والخرافة فيما يتعلق بآرائهم حول الحياة السياسية في المجتمع، إلى أن جاءت الحضارة اليونانية التي تعتبر أول من قدم الفكر السياسي بصورة علمية مستقلة خاصة من خلال اسهامات افلاطون وارسطو. في ذلك العهد بدأت الأفكار السياسية في تصوير طبيعة العلاقات الإنسانية في دولة المدينة، وركزت على الأسس الأخلاقية للحكم فاهتمت بالقيم السياسية كالعدالة والحرية، ونوعية الحكم

والمشاركة الشعبية. وفي العصور الوسطى ظهرت الأفكار السياسية الإسلامية التي أضافت اسهامات كبيرة لتطوير علم السياسة، وظلت الأفكار السياسية تتطور مع تطور المجتمعات اجتماعياً واقتصادياً وتختلف في مجالات اهتمامها ومواضع دراستها حسب ظروف كل عصر، حتى عصرنا الحالي والذي ترتبط اهتماماته الفكرية في مجال السياسة بالعديد من العوامل المؤثرة، من أهمها قيام الثورة التقنية وما أعقبها من تطور سريع وتغير جذري في كل جوانب الحياة.

الفكر السياسي الاسلامي:

يتناول الفكر السياسي الاسلامي عدداً هائلاً من الموضوعات المتعلقة بالدولة والسلطة ونظام الحكم وجوانب الحياة السياسية الأخرى. وقد قدم التراث الاسلامي أفكاراً متطورة في هذا المجال، شكلت أساساً للعديد من النظريات السياسية الحديثة. فبالنسبة لنشأة الدولة ووظيفتها فهناك ثلاث نظريات رئيسية في ذلك وهي :

١ – النظرية العقدية، ويقدمها الفارابي من خلال تفسيره لمبدأ البيعة في الاسلام.

٢ – نظرية التطور القبلي، ويقدمها الغزالي. وهي تشبه نظرية أرسطو في نشوء الدولة.

٣ – نظرية العصبية، ويقدمها أبن خلدون.

أما بالنسبة لوظيفة الدولة فقد اختلفت الآراء حولها، فهناك من قال إنها لتحقيق العدالة كالفارابي، وهناك من رأى وظيفتها في الدفاع عن العقيدة مثل الماوردي. أما ابن تيميه فيراها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبالنسبة لنظام الحكم في الاسلام فنلاحظ أن مصادره الأساسية المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لم تتعرض لجزئياته وتفاصيله، بل اقتصرت على تحديد مبادئه العامة وأسسه الثابته التي يجب أن يقوم عليها، انطلاقاً من مبدأ الاعتراف بالسيادة والحاكمية لله وحده . ومن هذه الأسس العدالة والشورى والمساواة. وقد اعتبرت العدالة شرطاً ضرورياً من شروط الامام وقيمة عليا تسيطر على وظائف وممارسات الدولة الاسلامية، استناداً إلى قوله تعالى {إذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل} (النساء: ٥٨).

أما الشورى فتعني تقليب الآراء المختلفة ووجهات النظر المطروحة واختبارها من أصحاب العقول والأفهام حتى يتم التعرف والوصول إلى أصوبها وأحسنها للعمل به لتحقيق أفضل النتائج . والشورى أمر واجب على الحاكم لقوله تعالى {وشاورهم في الأمر} (الشورى: ٣٨).

ويقرر الاسلام مبدأ المساواه بصورة مطلقة تتضح في قوله تعالى {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} (الحجرات: ١٣). والجميع في الاسلام متساوون أمام القانون وفي الحقوق والواجبات.

كما شكلت الخلافة الاسلامية واحدة من القضايا التي لقيت اهتماماً كبيراً في الفكر السياسي الاسلامي. وقد اختلف الفقهاء حول العديد من الجوانب المتعلقة بها مثل معنى الخلافة ووجوبها واسلوب توليها وشروط الخليفة وسلطاته. وقد نظم الفكر السياسي الاسلامي قواعد العلاقة بين الحاكم والمحكوم بناء على

تعاليم الشرع الذي فرض طاعة الحاكم مادام ملتزماً بتطبيق الشريعة الاسلامية وقائماً على العدل بين الناس.

وتتلخص أهم خصائص الفكر السياسي الاسلامي في الآتي :

١- لم يكن الفكر السياسي الاسلامي مجالاً مستقلاً من مجالات المعرفة، بل كان دائماً مرتبطاً بالتعاليم الدينية وعلوم الدين والفلسفة والاجتماع. فقد كان الغزالي مفكراً دينياً والفارابي فيلسوفاً وابن خلدون عالماً في مجال التاريخ والاجتماع.

٢- الفكر السياسي يقوم على مبدأ التوفيق والاعتدال والتوسط، حيث لم تعرف التقاليد الاسلامية المبالغة والتطرف.

٣- يهتم الفكر السياسي الاسلامي بفكرة الخلافة اهتماماً خاصاً، حيث كانت القيادة تمثل باستمرار نقطة البداية في التحليل السياسي.

٤- يمثل مبدأ العدالة المبدأ الأول في الفكر السياسي الاسلامي ويعتبر القيمة العليا أو الهدف الأول الذي يسعى المجتمع السياسي لتحقيقه قبل غيره من الأهداف.

علم السياسة والعلوم الاجتماعية الأخرى:

بذل علم السياسة جهداً كبيراً وشاقاً حتى تمكن – كغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى – من الاستقلال عن العلوم الأخرى، وخاصة الفلسفة، والبروز كميدان متخصص من ميادين المعرفة العلمية للحياة الاجتماعية، دون أن يفقد ارتباطه وتداخله مع الميادين الأخرى والذي تفرضه طبيعة الظواهر

الاجتماعية. ويعتبر علم السياسة من أقوى العلوم الاجتماعية ارتباطاً وتداخلاً مع غيره من العلوم الأخرى التي تتناول الظواهر الانسانية بالدراسة.

فهناك علاقة وثيقة بين علم السياسة وعلم الاقتصاد لما للظاهرة السياسية من ارتباط وامتزاج وتفاعل مع الظاهرة الاقتصادية، حتى أن علم الاقتصاد كان يسمى بالاقتصاد السياسي حتى وقت قريب. والسياسة هي التي تحدد الأنشطة الاقتصادية في المجتمع والوظيفة الاقتصادية في الدولة، كما أن الحالة الاقتصادية تؤثر بقوة في الحالة السياسية في المجتمع بشكل عام. وهناك العديد من الموضوعات التي يشترك في دراستها كل من علمي السياسة والاقتصاد كالموضوعات الخاصة بالدخل والثروة والضرائب والتوزيع والسياسة التجارية والصناعية وأوضاع الطبقة العاملة. وكثير من القرارات السياسية التي تصدرها الدولة تأتي في شكل قرارات اقتصادية، كما أن الكثير من القرارات الاقتصادية ما هي إلا لتحقيق أغراض سياسية.

وبالنسبة لعلاقة علم السياسة بعلم الاجتماع فقد تأثر كثيرون من علماء السياسة بالكتابات السوسيولوجية واتجهوا إلى دراسة العديد من الموضوعات التي يهتم بها علماء الاجتماع مثل دراسة الشخصية القومية ودراسة السلوك في أثناء الأزمات والطبقات الاجتماعية وما إلى ذلك. كما يهتم علم الاجتماع السياسي بدراسة الاسباب والنتائج الاجتماعية لتوزيع "القوة" داخل المجتمعات، وبين المجتمعات بعضها وبعض، وكذلك دراسة الصراعات السياسية والاجتماعية التي تؤدي إلى حدوث تغييرات في توزيع بناء القوة . وبعض علماء السياسة يميلون إلى تحليل الظواهر السياسية في ضوء البناء الاجتماعي، بحيث يصبح الواقع السياسي تابعاً للواقع الاجتماعي.

وقد إزدادت أهمية دراسات علم الاجتماع بالنسبة لعلم السياسة بعد أن تبلورت مفاهيم ومصطلحات جديدة في علم الاجتماع تلائم دراسة الواقع الاجتماعي السياسي الجديد بعد تطور المفاهيم الحديثة في علم السياسة التي تهتم بالسلوك السياسي للإنسان ، كالنسق الاجتماعي والجماعة السياسية وبناء القوة .

وترتبط العلوم السياسية ارتباطاً وثيقاً بعلم التاريخ، حتى أنه دخل في صميم اهتماماته الموضوعية من خلال مجال التاريخ السياسي وتاريخ النظرية السياسية. والحوادث التاريخية تعتبر مواد أولية لابد للباحث السياسي من الإلمام بها لفهم وتفسير الفكر السياسي والنظم السياسية وغيرها من الأحداث والظواهر السياسية الأخرى. وتاريخ الأمم والشعوب هو المرصد الأول لحركة تطورها ومسيرة اقتصادها ومجتمعها وحياتها كلها. فهو المصدر الأصيل لكل الأحداث التي يتناولها علم السياسة بالبحث والتحليل والتفسير، حتى أن أحد علماء السياسة وصف علم السياسة بأنه ثمرة التاريخ، وأن التاريخ هو جذور علم السياسة .

أما بالنسبة لعلاقة علم السياسة بعلم النفس فلم تزدهر هذه العلاقة إلا منذ عهد قريب، خاصة بعد أن أصبحت نظم الحكم ترتكز بصورة كبيرة على الرأي العام، سواء للتعرف عليه والاستجابه له، أو لتوجيهه وفقاً لرغبة السلطة الحاكمة . وبعض تطور بعض المفاهيم الحديثة في علم النفس صار المفكرون السياسيون يعطون اهتمامات خاصة في ابحاثهم لموضوعات علم النفس التي تهتم بفهم الطبيعة الإنسانية كالمواضيع المتعلقة بالحاجات الانسانية، والغرائز، والمشاعر، والدوافع. والقيم الإنسانية الأساسية الأخرى التي تشكل تطلعات الإنسان وتوجه سلوكه.

وأي تحليل سياسي لا يمكن أن يغفل الجوانب الاجتماعية والنفسية والتي توجه علاقات الأفراد وأنماط سلوكهم وعلاقاتهم مع النظام السياسي والنشاط السياسي بصورة عامة. وظواهر الفساد السياسي انما تقاس وفقاً للمعايير الأخلاقية والاجتماعية السارية في المجتمع والتي يترتب عليها رد الفعل تجاهها. وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أكثر الدول تقدماً في استخدام التحليل النفسي في الدراسات السياسية.

كما يرتبط علم السياسة بعلم الجغرافيا – بشرية كانت أم اقتصادية أم سياسية. فالموقع الجغرافي للدولة ومناخها ومواردها الطبيعية وسكانها وجيرانها وحدودها، كلها متغيرات تؤثر في النظام السياسي القائم فيها والقائم بينها وبين غيرها من الدول الأخرى.

وأخيراً فهناك علاقة علم السياسة مع القانون. فالدولة تعمل وتؤدي وظائفها من خلال القانون. وقد حاول فلاسفة كثيرون صياغة مفاهيم قانونية وفقهية تتفق مع أفكارهم الخاصة حول النظم السياسية. ودارس السياسة لا يستطيع أن يحلل الواقع السياسي أو يصفه دون أن يفهم طبيعة القانون ومدى انسجامه مع ذلك الواقع. وقد أصبح القانون محوراً للدراسات السياسية في النصف الأول من هذا القرن. ويزداد الارتباط بين علم السياسة والقانون وضوحاً عند النظر إلى موضوعات القانون الدستوري أو القانون العام الذي يشتمل على كل الأسس والقواعد المنظمة لممارستها السياسية وحقوق وواجبات الأفراد، وكل ما يتعلق بالسلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية.

الفصل الرابع

اللغة والمجتمع

اللغة بين الفرد والمجتمع:

في البدء "كان" الكلمة وفي النهاية تكون الكلمة، وفيما بين البدء والنهاية تبقى الكلمة قوة فاعلة وأداة مسيطرة على حياة البشر. إنها تصل الإنسان بأخيه الإنسان، وتكوّن المجتمعات وتبني الحضارات، وهي بهذا الوصل وذاك التكوين والبناء تميز الإنسان من سائر المخلوقات، فهو اجتماعي بطبعه، أو – بالأحرى – هو ناطق بطبعه.

إن الكلمة بهذا الموقع تعلم وترشد وتكسب الخبرة وتنمي المعرفة وتعمق الفكرة، كلما نسمع ونقرأ نستمد العون من الآخرين ونزيد من خبراتنا ومعارفنا.

فالكلمة (والمقصود بها اللغة في هذا المقام) منطوقة ومكتوبة تضع للإنسان حاجاته بين يديه، وتغنيه –في كثير من الحالات – عن عناء البحث عن الخبرة أو محاولة اكتشاف الأشياء بنفسه، إذ هي تلقي إليه بضالته في يسر وسهولة، متى وظف سماعه وقراءته توظيفاً راشداً.

هذا بالإضافة إلى أن اللغة هي الأساس في تشكيل أنماط سلوك الإنسان وطرائق تفكيره، وطموحاته ومثله ونظرته إلى الآخرين وجوّه العقلي والثقافي.

وفي عبارة موجزة، إنها تشكل عالمه المعرفي. إن كفاية الإنسان للحياة تعني القدرة على أن يتكلم ويكتب ويسمع ويقرأ بطريقة تزيد فرصه وفرص الناس جميعاً ليعيشوا معاً.

وللغة المكتوبة فضلها الذي لا ينكر في نقل المعلومات من جيل إلى جيل، فكل خبرات الماضي ومعارفه وصنائعه وحرفه وثقافته وفنونه وعلومه، تصلنا هدية مجانية من السابقين بفضل هذه اللغة. إنها باختصار شديد تجعل التقدم ممكناً والحياة متصلة الحلقات في سلسلة متنامية الرقي والازدهار لصالح الفرد والجماعة على السواء.

كل ما تقدم ذكره من بيان يقدم لنا شيئاً من الأفكار العامة حول اللغة وموقعها بين الفرد والمجتمع. وخلاصة هذه الأفكار أن اللغة خاصة من أهم خواص الإنسان، تعيش به أينما حل وأنى ارتحل. ومع ذلك فهي في نظر الكثيرين تبدو شيئاً طبيعياً، لا تنتظم سراً من الأسرار، لا تستأهل نظراً أو تأملاً، ذلك أنهم يمارسونها في كل حين وآن في سهولة ويسر، ويتوارثونها جيلاً عن جيل، دون عناء ملحوظ أو جهد ذي بال. ومن النادر أن يشغل الرجل العادي نفسه بمادتها ومكوناتها الصوتية واللفظية والتركيبية والدلالية، ومن النادر كذلك أن يفكر فيما تحققه له هذه اللغة من غايات وأهداف، وما تنجزه من أغراض وأعمال. في كليمات يسيرة: إنه يعرفها بالممارسة والاستعمال الدائم الدائب، لكنه لا يدركها كنهها أو حقيقتها ولا يدرك بقدر كاف دورها في الحياة أو المجتمع الإنساني.

إنه يتكلم، أي ينطق أصواتاً مرتبطة بمعان. ولكنه لا يعرف ميكانيكية هذا النطق، ولا يدري كيف وإلى أي حد قام هذا العضو أو ذاك من أعضاء النطق بدوره في هذه العملية، بل إنه قليلاً ما يفكر في هذا كله أو بعضه، متقبلاً الأمر كما لو كان شيئاً طبيعياً لا يدعو إلى التفات أو توجيه النظر إليه. وهذا الرجل

العادي كذلك يسمع الجملة والعبارة فيفهمها، لكنه لا يعي كيف تم له ذلك، لا يدرك كيف استطاعت هذه الأصوات المنظومة نظماً معيناً أن تدفعه إلى القيام بعمل ما، أو أن تدعوه إلى استجابة معينة، أو أن تعينه على تصريف أموره وتنفيذ شئونه في الحياة.

علم اللغة الاجتماعي (Sociolinguistics):

إن دراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية وعنصراً أو مكوناً من مكونات الثقافة قد حظيت بنوع من الاستقلال ونوع من الاهتمام الخاص وأصبح لها علم معترف به تشيع الإشارة إليه بالمصطلح "علم اللغة الاجتماعي" وليس المقصود بهذا العلم أنه"تركيبية" أو "توليفة" من علم اللغة وعلم الاجتماع أو أنه مزج لهما أو تجميع لقضاياهما ومسائلهما.

إنه يعني – باختصار شديد – ذلك العلم الذي يدرس اللغة في علاقاتها بالمجتمع. إنه ينتظم كل جوانب بنية اللغة، وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية. ومع ذلك، ينبغي أن ننبه إلى أن استخدام مصطلح أو اسم وحيد عنواناً لهذه الدراسة فيه نوع من التضليل إذا فسرنا هذا المصطلح أو الاسم (وليكن علم اللغة الاجتماعي) تفسيراً حرفياً. ذلك أن دراسة اللغة وعلاقتها بـ "الثقافة والمجتمع" حقل واسع عريض إلى أبعد الحدود، الأمر الذي ينفي أحقية علم واحد للقيام بهذه المسئولية وتولي شئونها ويكفي أن نعلم أن هناك علوماً أو فروعاً أخرى من العلم قد تناولت هذا الموضوع بالنظر والدرس تحت أسماء مختلفة، وإن كان بين هذه العلوم والأسماء شيء من التشابك أو التداخل كما يظهر ذلك بوضوح من التسميات الشائعة – الآن – لعلوم تعرض لذات الموضوع

من زاوية أو أخرى وفقاً لاهتمامات العلم المعين ورجاله.

من هذه التسميات التي يتفق بعضها في المضمون بشكل أو آخر مع "علم اللغة الاجتماعي"، ويختلف في المنطوق: " علم اجتماع اللغة" أو "علم الاجتماع اللغوي" The Sociology of Language، "علم اللغة الأنثروبولوجي" Anthropological Linguistics أو "الأنثروبولوجيا اللغوية" Linguistic Anthropology، "علم اللغة الأثنولوجي" Ethnolinguistics، وأيضاً" علم اللغة الاجتماعي" المعبر عنه في اللغة الإنجليزية باسمين آخرين مختلفين في الصيغة وها: Social Linguistics و Sociological Linguistics. بالإضافة إلى الاسم الثالث السابق الذي تبنيناه هنا وأخذنا به في عملنا هذا وهو Sociolinguistics، إذ هو الأشيع في الاستعمال، والأكثر استقراراً. ومعنى هذا أن المصطلحات الثلاثة الأخيرة تعني شيئاً واحداً غير أن طبيعة اللغة الإنجليزية، ووسائل التصريف فيها تسمح بهذه الصياغة الثلاثية.

أما مصطلح "علم الاجتماع اللغوي" أو "علم اجتماع اللغة" فقد درج بعض الدارسين على استعماله كما لو كان مرادفاً للمصطلح" علم اللغة الاجتماعي" بمعنى أنهما يطلقان بالتبادل على شيء واحد أو فرع واحد من الدرس اللغوي والاجتماعي، أو الاجتماعي اللغوي. ويفرق آخرون بين مدلول المصطلحين، وهو عندهم تفريق في درجة الاهتمام، أي أن الفرق بين المدلولين يظهر في التركيز على جانب دون آخر: الاهتمام بالجانب اللغوي، أو الجانب الاجتماعي، كما يظهر الفرق عندما يكون الباحث المعين أقدر من صاحبه وأكثر منه خبرة وأعمق تخصصاً في هذا الجانب أو ذلك، أي الجانب اللغوي، أو الجانب الاجتماعي.

ومهما يكن من أمر هذا التفريق (إن كان له مسوغ علمي) فإن هناك نقاط التقاء كثيرة بين مواضيع المبحثين، ومن ثم ليس ضرورياً، بالنسبة لنا، أن نحاول التفريق بينهما بأكثر مما ذكرنا، حيث إن بينهما تداخلاً وتشابكاً واضحين لا يعنينا في عملنا في هذا المقام أن نبين مدى هذا التداخل والتشابك.

ونحن من جانبنا سوف نأخذ بالمصطلح (علم اللغة الاجتماعي) دالاً ومدلولاً، لأنه ألصق بعملنا– بوصفنا لغويين– سواء أخذنا بالتفريق المذكور أم لم نأخذ به.

أضف إلى هذا أننا لو أخذنا بمفهوم المصطلح "علم الاجتماع اللغوي" عند "القائلين بالتفريق" بينه وبين "علم اللغة الاجتماعي" لوجدنا أنفسنا شئنا أم لم نشأ نسبح في بحر واسع مترامي الأطراف والجنبات هو "علم الاجتماع" Sociology وهو علم عام شامل، ومعقد الموضوع، ولا وجود له إلا بربطه بعلوم إنسانية أخرى، ولا يمكنه أن يتناول الوقائع المحددة إلا من خلال علم واحد معين من هذه العلوم.

إن علم الاجتماع يتناول النظم الاجتماعية والاقتصادية، كما يتناول الأديان وعلم النفس والثقافة واللغة، وله اهتمام بالتربية والسياسة والجغرافيا. فهناك علم الاجتماع الحقوقي، وعلم الاجتماع الاقتصادي، وعلم الاجتماع الديني، وعلم الاجتماع النفسي، وعلم الاجتماع الثقافي، وعلم الاجتماع اللغوي، وعلم الاجتماع التربوي، وعلم الاجتماع السياسي، وعلم الاجتماع الجغرافي، وكلها مستويات مترابطة تنطلق من المادي الملموس (كالواقع الجغرافي) وصولاً إلى المستوى النفسي والعقلي ومروراً بالتنظيمات الاجتماعية والتصرفات والأدوار والمواقف والرموز والقيم.

وجدير بالذكر أن علم اللغة الاجتماعي ليس بمقدوره منفرداً أن يصل إلى حلول جذرية لهذه المشكلات وما أشبهها، ولكنه في الوقت نفسه سبيل فعال من السبل التي تتضافر فيما بينها للوصول إلى نوع مقبول من هذه الحلول، إنه في أضعف الحالات يستطيع أن يمدنا بمعلومات أولية من شأنها أن تعين الفرد وإمكاناته اللغوية: ماذا يستطيع أن يقول، وكيف يقول، وما وسائل هذا القول ومن الذي يخاطبه، ومتى و أين؟

وواضح من المصطلح "علم اللغة الاجتماعي" أن لكل من اللغويين وعلماء الاجتماع اهتمامات (وبخاصة في السنوات الأخيرة) بهذا الموضوع الذي ينحصر جوهر العمل فيه في تنميط استعمالات اللغة اجتماعياً، هذا التنميط وما يتعلق به من ظواهر لغوية واجتماعية يمكن أن يسير في اتجاهين: اتجاه يسلكه اللغويون، وآخر يتبعه علماء الاجتماع.

الاتجاه الأول:

يكن أن يعد جزءاً من علم اللغة العام وهو يعنى بدراسة تأثير العوامل الاجتماعية لطبقات المجتمع في لغة هذه الطبقات، وحسبان هذا الاتجاه اتجاهاً لغوياً أو واقعاً تحت مظلة علم اللغة العام يتمشى مع تلك المدارس اللغوية التي تنعت أحياناً كثيرة بالمدارس اللغوية الاجتماعية، وهي مدارس وظيفتها الأساسية البحث في اللغة ولكن من منظور اجتماعي، وتمثلها حينئذ خير تمثيل المدرسة الإنجليزية بريادة الأستاذ "فيرث".

وجدير بالذكر حينئذ أن المصطلح "علم اللغة الاجتماعي" أنسب وأوفق في الاستخدام لإطلاقه على هذه المدارس، في مقابل المصطلح العام "علم اللغة"

دون وصفه بالاجتماعية، وذلك للتفريق بينها وبين اتجاهات أخرى سلكت في النظر إلى اللغة نظراً مخالفاً في كثير من الوجوه، ونعني بهذه الاتجاهات الأخرى تلك التي تبعت افتراضات "دي سوسير" التي تزعم وجود جماعات لغوية تماماً، تستخدم كل واحدة منها نظاماً لغوياً حينئذ (علم اللغة النظري أو العام) هو تفسير هذه القواعد والضوابط وتوضيحها بطريقة فائقة الدقة، بوصفها العنصر الضابط للسلوك اللغوي الفعلي الذي يقع من الأفراد أصحاب هذه اللغة.

وقد جاء هذا الاهتمام باللغة دون التنوعات الحادثة من المتكلمين بوصفهم أفراداً مبنياً على فكرة "دي سوسير" المتمثلة في ثنائيته المشهورة "اللغة المعينة" أو ما سماها بعضهم بـ"اللسان" Le Langue و"الكلام" Le Parole، فاللغة عند "دي سوسير" وتابعيه هي مجموعة من القواعد والضوابط اللغوية المخزونة في هذه الجماعة صاحبة اللغة المعينة، واللغة بهذا المعنى هي وظيفة علم اللغة ومجال البحث فيه، أما "الكلام" فهو الأحداث الفعلية المنطوقة من الفرد المعين في موقف معين، والبحث فيه ليس من اختصاص اللغويين وإنما هو وظيفة علماء النفس.

ومعنى هذا أن التنوعات اللغوية "الكلامية" الواقعة بالفعل من الأفراد ليست عند هؤلاء إلا مجرد توظيف فردي لقواعد اللغة وكثيراً ما يخرج هذا التوظيف عن القواعد المطردة المستقرة في أذهان الجماعة، وقد قوبل هذا الزعم بتحديات واعتراضات قوية من اللغويين الاجتماعيين، وبخاصة المهتمون منهم بالدراسات اللهجية والأنثروبولوجية الذين لا يفرقون (وإن فرق بعضهم نظرياً) بين "اللغة" و"الكلام" وهم لذلك لا يخرجون "الكلام" من دائرة أعمالهم، بل إن بعضهم يكاد

يحصر اهتمامه في هذا الكلام وتنوعاته، على أساس أن هذه التنوعات كاشفة عن الهوية الاجتماعية للأفراد، وعلى أساس أنها ليست في حقيقة الأمر إلا صوراً للمخزون اللغوي المزعوم استقراره في ذهن المجموعة اللغوية المعينة.

هذا الذي قدمنا ربما يوحي بتساؤل كثيراً ما يثار في الأوساط اللغوية، وهو: أهناك حدود فاصلة بين "علم اللغة" و"علم اللغة الاجتماعي"؟.

هناك قوم يؤكدون وجود هذه الحدود بين العلمين، حيث إن علم اللغة عندهم ينحصر اهتمامه في البحث في اللغة وبنيتها وخواصها التركيبية، بوصفها بناء أو هيكلاً "أو شكلاً أو جهازاً بعبارة بعضهم" منعزلاً عن صاحبه ومصدره دون التفات إلى السياق الاجتماعي أو الثقافي أو ما يسمى "سياق الحال" أو السياق غير اللغوي الذي يجري فيه التعامل اللغوي الفعلي الحادث من الأفراد في مجتمعهم، وإلى هنا ينتهي دور هؤلاء اللغويين الآخذين بهذا النهج، ثم يعقبه دور علماء الاجتماع إن شاءوا فينظرون في تلك القواعد والقوانين التي لها ارتباط بالمجتمع، كأن ينظروا فيما يقع من تنوعات لغوية واقعة من الأفراد أو المجموعات المختلفة في البيئة اللغوية للتعبير عن الفكرة الواحدة أو ترجمة للقاعدة اللغوية التي يفصح عنها ذلك البناء أو الهيكل أو"اللغة" في مقابل "الكلام" بوصف "اللغة" ملكاً للجماعة كلها و"الكلام" ملكاً للفرد المعين وهو صاحبه. ويحاول علماء الاجتماع بعد ذلك ربط هذه التنوعات الكلامية بمصادرها "وهم الأفراد بهذا الوصف" من حيث طبقاتهم الثقافية والاجتماعية والحرفية...الخ كما يأخذون هذه التنوعات مادة وأساساً للكشف عن هذه الطبقات أو الفئات، وتعيين مواقعها في المجتمع وبيان خواصها المميزة لها لغوياً واجتماعياً.

هذه النظرة الفاصلة بين "علم اللغة" و"علم اللغة الاجتماعي" هي نظرة المدرسة "البنوية" والأوروبية منها بوجه خاص، أي تلك التي حذت حذو "بنوية" دي سوسير في أصل معناها الدقيق. وهذا هو الحال عند المدرسة ورائدها الأول – " تشومسكي" الذي خرج علينا هو الآخر بثنائية للغة تشبه (أقول تشبه ولا تماثل ولا تطابق) ثنائية "دي سوسير" والذي يركز جهوده على الجانب العقلي أو النفسي في دراسة اللغة، ولا يولى أي اهتمام لجانبها الاجتماعي.

وهناك آخرون يقفون موقفاً مخالفاً لما سار عليه البنويون والتوليديون والتحويليون أو من أخذ منهجهم، وهم في الأغلب أولئك الذين لا يأخذون بأي من الثنائيتين المذكورتين (ثنائية دي سوسير وثنائية تشومسكي) والذين يرون أن دراسة اللغة دون الإشارة إلى المجتمع وأخذه في الحسبان نظرة غير دقيقة، شأنها في ذلك من يدرس سلوك الصداقة دون أن يربط سلوك أحد الصديقين بسلوك الآخر، ومن ثم كان علم اللغة الاجتماعي عندهم يمثل واجهة من واجهات علم اللغة، أو هو علم اللغة من وجهة اجتماعية.

وهذا الرأي من وجهة نظرنا مقبول من وجهين، الأول: أنه لا يمكننا أن نتكلم أو ندرس لغة معينة في فراغ، لأنها نفسها ظاهرة اجتماعية ومنسوبة إلى قوم معينين، ونعنى بهم أولئك الذين يتواصلون بها ويديرون بها شئونهم في مجتمعهم الذي بينه وبين اللغة تأثير وتأثر دائمان. الثاني: أن الكلام الذي أخرجه دي سوسير من الحسبان "ويقابله الأداء عند تشومسكي" له وظيفة اجتماعية، إذ هو "العملة" المتداولة بين الأفراد في حياتهم العامة والخاصة، وهو – في الوقت نفسه – المرآة الكاشفة عن هوية الأفراد وبيئاتهم وفئاتهم المختلفة. ومن ثم لو

عزلناه وأخرجناه من النظر اللغوي لحرمنا من فرصة الوقوف على طبيعته وخواصه، ولفقدنا كذلك فرصة التفسير الاجتماعي للظواهر اللغوية، وهي ظواهر لها قيمتها وأهمّيتها لغوياً واجتماعياً.

ومن أنصار هذا الرأي الثاني ورواده "فيرث" ومدرسته المشهورة "مدرسة لندن اللغوية" ويميل "هيدسون" إلى هذا الاتجاه ويفضله، وإن كان يلحظ فرقاً من نوع ما بين "علم اللغة" و"علم اللغة الاجتماعي" فعلم اللغة الاجتماعي يركز عمله على الجانب الاجتماعي للغة؛ في حين أن علم اللغة يكتفي بأن يأخذ في حسبانه جانبها الاجتماعي، آخذاً ما عند دراستها والنظر في قواعدها وضوابطها قصداً إلى تفسير ما يقابله من مشكلات، ولهذا استقر رأي "هدسن" على أن يتحدث عن عالم اللغة، وعالم اللغة الاجتماعي كما لو كانا ينتميان إلى حقلين مختلفين، وإن كانا يلتقيان أو تلتقي اهتماماتهما في كثير من النقاط والقضايا.

الاتجاه الثاني:

أما الاتجاه الثاني في حقل الدراسة اللغوية الاجتماعية فهو ما يسلكه علماء الاجتماع، فعالم الاجتماع المهتم بالظاهرة اللغوية وأنماط سلوكها في المجتمع المعين لا يدرس اللغة بذاتها أو لذاتها، وإنما يأخذها على أنها مادة ثرية لها أهيمتها في توضيح الظواهر الاجتماعية وتفسيرها بصورة أدق وأعمق، حيث إن السلوك اللغوي في نظره لا يعدو أن يكون ضرباً من السلوك الاجتماعي، وبينهما تفاعل دائم، وتبادل في الكشف عن هوية الأفراد ومواقفهم في مجتمعهم الكبير، إن مهمة علماء الاجتماع في هذه الحالة توجه في الأساس إلى إلقاء الضوء على مشكلاتهم بالاعتماد على اللغة وطرائق توظيفها.

ربما يختلف منهج البحث عند الاجتماعيين عن ذلك الذي يخطه اللغويون (الاجتماعيون) لأنفسهم . وذلك أمر مقبول وتسوغه طبيعة التخصصات الدقيقة لكل من الفريقين، ومن ثم تأتي نتائجهم في صورة تخضع في تقعيدها لمناهج البحث في هذه العلوم، واللغوي الاجتماعي ما زال في الأساس لغوياً بالحرفة والصناعة ومن ثم ينطلق في عمله من الواقع اللغوي إلى الواقع الاجتماعي.

والتحليل الاجتماعي للغة ودورها في المجتمع لم يقتصر على علماء اللغة وعلماء الاجتماع بالمعنى الدقيق، بل تناوله كذلك علماء الأنثروبولوجيا، وإن كانت جهود كل فريق وإسهاماته غير متطابقة تمام التطابق فرجال الأنثروبورولوجيا– بحكم طبيعة حقلهم الدراسي– يأخذون اللغة على أنها جزء لا يتجزأ من الثقافة، ومن ثم كان اهتمامهم الفائق السلوك اللغوي للمجموعة الواقعة تحت الدراسة. إنهم على العكس من اللغويين (البنيويين والتوليديون بوجه خاص) لا ينظرون إلى اللغة منعزلة عن الحياة الاجتماعية بحال من الأحوال، ويصرون على الاعتماد المتبادل بينها وبين البينيتين الثقافية والاجتماعية، ومعنى هذا أن جهودهم في التحليل اللغوي لا تعدو أن تكون وسيلة لغاية. إنها وسيلة تمكنهم من الوصول إلى نتائج من شأنها إلقاء الضوء على قضايا ومشكلات أنثروبولوجية أوسع، فهم مثلاً عندما يطلقون واحداً من عناوين بحوثهم المشهورة: "اللغة والثقافة" – يعرضون لمواضيع من نحو: العلاقة بين تصوراتنا للعالم والأجناس النحوية والمجالات الدلالية، وتأثير الكلام على التطبيع الاجتماعي والعلاقات الشخصية والتفاعل بين المجموعات اللغوية والاجتماعية.

بهذه السبيل ونحوها استطاع الانثروبولوجيين اللغويون أن يشيروا إلى ظاهرتين مهتمين، تتمثل الأولى في اختلاف الدور الوظيفي للغة في المجموعات اللغوية المختلفة، والثانية في استعمال معايير لغوية متعددة في المجموعة الواحدة. وقد عبر "هايمز" عن ذلك باقتدار بقوله: "اللغة ليست بحالة مماثلة في أي مكان في دورها التواصلي وقيمتها الاجتماعية.. ليس هناك إنسان عادي أو مجموعة عادية محصور مخزونها اللغوي في نوع واحد من المعايير أو ثابت ثبوتاً لا يتغير".

من كل هذا الذي تقدم بشأن المهتمين باللغة وعلاقتها بالمجتمع نستطيع أن نخلص إلى أربع نقاط مهمة توضح حدود التقابل أو التخالف بين اللغويين الاجتماعيين والاجتماعيين اللغويين والأنثروبولوجيين اللغويين.

يتقابل الفرقاء الثلاثة في نقطتين هما:

١ – تطبيق ملحوظ بينهم في فكرة التفاعل الدائم بين اللغة والمجتمع.

٢ – الاهتمام الفائق بالكلام لا باللغة بالمعنى الذي أراده "دي سوسير" ضاربين صفحاً عن ثنائية هذا العالم، وثنائية تشومسكي كذلك. بل إن الفريقين الأخيرين (الاجتماعين اللغويين والأنثروبولوجيين اللغويين) لا تخطر ببالهم هذه الثنائية (بوجهيها) نظراً وتطبيقاً .

وتتخالف الأطراف الثلاثة فيا بينها نوع خلاف في نقطتين أيضاً هما:

١ – درجة الاهتمام ومنطلق الدراسة: فاللغويون – بحكم حرفتهم – ينطلقون من اللغة ويعملون على النظر في مشكلاتها من منظور اجتماعي، بغية الوصول إلى

نتائج علمية دقيقة بوصف اللغة ظاهرة اجتماعية، والفريقان الآخران ينطلقان من حقولهما العلية الاجتماعية الأنثروبولوجية، وكثيراً ما يتلاقيان في الطريق، ويأخذان اللغة ومادتها المتنوعة وسيلة إلى غاية هي الكشف عن اهتماماتهم الاجتماعية والأنثروبولوجية الأوسع مجالاً والأكثر تنوعاً ويظهر الفرق – إن كان هناك فرق حقيقي – بين هذين الفريقين في أن الاجتماعيين يركزون على علاقة السلوك اللغوي بالسلوك الاجتماعي، ويظهر الفرق بينهما أيضاً لو أخذنا برأي بعض الدارسين الذين يرون أن اهتمام الاجتماعيين يوجه نحو المجتمعات المتحضرة، في حين ينحصر عمل الأنثروبولوجيين في المجتمعات البدائية.

٢ – أما نقطة التخالف الثانية بين الفرقاء الثلاثة فتظهر في منهج الدرس وطرائق التحليل، فقد تأتي مناهجهم مختلفة وفقاً لحرفة كل ورؤيته وهدفه، ومن ثم تأتي نتائج كل فريق متسقة مع نظريات مجاله وحقل تخصصه الأصلي: اللغوي، أو الاجتماعي، أو الأنثروبولوجي.

ومهما يكن الأمر، فما زلنا نلحظ أن وجوه الاتفاق أكثر وأعمق من وجوه الاختلاف بين الاتجاهات الثلاثة، وفي رأينا أن "علم اللغة الاجتماعي" يغطي معظم نقاط الاهتمام عند الجميع بصورة أو بأخرى، ومن ثم كان اختيارنا هذا الحقل، وبخاصة لأنه الصق بتخصصنا واهتمامنا.

وعلم اللغة الاجتماعي بالمفهوم الذي قدمنا – أي العلم الذي يدرس اللغة في علاقتها بالمجتمع – يعد فرعاً من الفروع الملحقة بعلم اللغة الآن. وهو بوصفه علماً حديث العهد بالوجود نسبياً إذ برز على الساحة العلمية في أواخر الستينيات وأوائل السبعينات من هذا القرن. ومنذ ذلك الوقت وهو يزداد نمواً واتساعاً وتحديداً

لاهتماماته ونقاط البحث فيه، وأصبح له رجاله وطلابه على مستوى اللغويين (الاجتماعيين منهم بوجه خاص) ورجال علم الاجتماع بتفرعاته وتنوع مجالات البحث فيه. وظهرت فيه أعمال علمية كثيرة تعرفه وتحدد أبعاده وترسم مناهجه وتشير إلى أهميته وإلى ما يتوقع له من نتائج تفيد الدارسين في اللغة من جميع مناحيها وزواياها سواء كانوا لغويين خلصاً أم اجتماعيين أم رجال علم النفس الاجتماعي أم رجال التربية.. الخ.

وليس معنى ما تقدم على أية حال أن هذا الاتجاه من الدرس لم يكن معروفاً من قبل أو أن نقاط البحث فيه لم تكن مطروقة أو خاضعة للنظر قبل هذا التاريخ المشار إليه سابقاً. إن كثيراً من مواضيعه كانت محل نظر اللغويين (أو بعضهم) بصورة أو بأخرى، وإن كانت هذه النقاط قد عولجت ضمن الإطار العام لعلم اللغة، وعلى أساس أن اللغة (في رأي بعض الدارسين) ظاهرة اجتماعية، وأن بينها وبين المجتمع الذي تعيش فيه تبادلاً مستمراً من حيث التأثير والتأثر. فهناك في علم اللغة درج الكثيرون من اللغويين على معالجة قضايا معينة تدخل في إطار علم اللغة الاجتماعي، مثل رأيهم في الوظيفة الاجتماعية والتواصلية للغة، وتنوع اللغة إلى لهجات وأنماط من الكلام بحسب البيئة أو الثقافة أو الحرفة أو الصنعة... الخ.

فالذي حدث في السنوات الأخيرة إذن هو "نوع من التجميع" لنقاطه ومسائله، أضف إلى ذلك أن عصرنا هذا الذي نعيش فيه يمتاز بالاهتمام الفائق بالتخصصات الدقيقة وإعطائها نوعاً من الكيان أو الاستقلال، وعلى هذا النحو استقر لعلم اللغة الاجتماعي موقعه وبدا كما لو كان فرعاً مستقلاً عن علم اللغة ،

وإن كان هذا الاستقلال في رأينا استقلالاً نظرياً، وإذ من الصعب أن نجد حدوداً حاسمة بينهما، حيث التداخل والتشابك بينهما محقق في كثير من قضايا اللغة، وبخاصة من وجهة نظر مدارس لغوية معينة عرفت بالمدارس الاجتماعية في النظر إلى اللغة، كما ألمحنا إلى ذلك سابقاً.

وحقيقة الأمر أن علم اللغة الاجتماعي قد نشأ وتطور وأصبح علماً بوصفه رد فعل مباشر للمدرسة أو المدارس البنوية كلها (الأوربية والأمريكية) وهي تنتظم تحت مظلتها بصورة أو بأخرى – المنحى أو المناحي التوليدية التحويلية التي ابتدع أسسها وراد مسيرتها الأولى تشومسكي ١٩٥٧م.

فالبنوية الأوربية بمفهومها الدقيق كما أراده لها رائد البنوية دي سوسير، قد وجهت كل اهتمامها إلى "اللغة" بوصفها بناء أو هيكلاً منعزلاً عن صانعه أو صاحبه وعن الظروف والملابسات الاجتماعية المحيطة به وأهملت من النظر "الكلام" المتمثل في الأداء الفعلي الحي المنطوق من الفرد المعين في الموقف المعين. في حين أن "الكلام" (على فرض التفريق النظري بينه وبين "اللغة") هو ضرب من السلوك الاجتماعي. ودراسته دون الرجوع إلى المجتمع الذي يستخدم فيه تعد عملاً خطيراً لعلم اللغة ذاته. إذ أن حرمانه من النظرة الاجتماعية يعني الحرمان من تفسيرات اجتماعية للأبنية والصيغ المستخدمة فيه، وهي في نهاية الأمر – بعد قبولها – لابد أن ترتد إلى اللغة وتصبح جزءاً من نظامها الذي تدور حوله اهتمامات علم اللغة، عند هؤلاء البنويين، هذا بالإضافة أن الكلام (مناظرا للغة) وظيفة اجتماعية بوصفه وسيلة للاتصال وطريقاً من طرق التمييز بين المجموعات الاجتماعية المختلفة، وهو أمر بالغ الأهمية للغويين وعلماء الاجتماع على حد سواء.

لا ننكر أن بعض أتباع "دي سوسير" (وعلى رأسهم تلميذه "تشارلز بييه") قد راعوا الكلام وتنوعاته من وقت إلى آخر، ولكن ذلك منهم، كان لأسباب فنية أسلوبية. ومعنى ذلك أن هؤلاء الأتباع ما زالوا يحتمون تحت مظلة البنيوية في عموم معناها.

أما مقولة دي سوسير بأن "اللغة" اجتماعية أو جماعية فلا يناقض مأخذ علماء اللغة الاجتماعيين عليه من إهماله للنظرة الاجتماعية للغة؛ ذلك لأنهم:

أولاً: لا يفرقون بين "اللغة" و"الكلام" بمفهوم دي سوسير، وثانياً: لأن وصفه "للغة" بأنها اجتماعية وصف ذو معنى خاص عنده، هي "اجتماعية" عنده بمعنى أنه ملك الجماعة لا ملك الفرد، فهي حصيلة القواعد العقلية المستقرة في ذهن هذه الجماعة، وهي مجموع تقاليدها وأعرافها اللغوية و"الاجتماعية" وصفاً للسلوك وتلك الطرائق إنما تتحقق في الكلام الذي أخرجه دي سوسير نفسه من النظر في إطار علم اللغة، وإنما تلقى مسئولية هذا الكلام إلى علماء النفس كما قرر هذا العالم.

أما بالنسبة للبنيوية الأمريكية (ونقصد بنيوية "بلومفيليد" بالذات وأتباعه) فهي الأخرى قد أهملت الجانب الاجتماعي للغة.

إن أصحاب هذه البنيوية – على الرغم من عدم تفريقهم بين اللغة والكلام بالمعنى الذي حدده دي سوسير، وعلى الرغم من أنهم نظروا إلى "اللغة" أو "الكلام" على أنها مادة أي أحداث فعلية، وليست مجموعة من القواعد المجردة "بعكس ما قرر دي سوسير" – أنهم على الرغم من كل ذلك اتبعوا المنهج السلوكي في علم النفس في التحليل اللغوي، ولم يعطوا التنوعات اللغوية الحادثة

من الأفراد اهتماماً يذكر، ولم يحاولوا بالطبع الكشف عن علاقة هذه التنوعات بالمجتمع مع اختلاف بيئاته وفئات وطبقات أفراده أو جماعاته.

وهكذا نرى أن "البنيوية" بجناحيها الأوربي والأمريكي قد أهملت البعد الاجتماعي للغة، بمعنى إغفالها الربط بين البنى اللغوية، والبنى الاجتماعية والثقافية لمجتمع اللغة. وهذا الربط هو الشغل الشاغل لعلماء اللغة الاجتماعيين، وعلماء الاجتماع اللغويين حيث ينظر كل فريق من هذا الربط من الزاوية التي تتسق مع حاجاته، فتلقي الضوء على اهتماماته.

والمدرسة التوليدية التحويلية هي الأخرى – في بدايتها، وفي أصولها الأولى – قد استبعدت علاقة اللغة بالمجتمع في أعمالها. ذلك، أن علم اللغة في نظرها معني في الأساسي بما سماه "تشومسكي" المتكلم – السامع المثالي في جماعة، كلامها "موحد توحيداً كاملاً ويعرف لغته معرفة تامة، وغير متأثر بأية ظروف شاذة خارجة عن قواعد اللغة عند تطبيق معرفته اللغوية في الأداء والكلام الفعلي، مثل ضعف الذاكرة وعدم التركيز والتردد في الانتباه والاهتمام والأخطاء العضوية وغير العضوية. هذه المقولة السابقة مبنية على ثنائية تشومسكي المعروفة:

الكفاءة اللغوية (أو الطاقة) والأداء اللغوي، وهو يفرق بين الجانبين تفريقاً حاسماً. فالكفاءة (الطاقة) هي معرفة الإنسان بلغته (وهي معرفة عقلية) أو بعبارة أخرى، هي نظام القواعد التي يسيطر عليها الإنسان .. وهي سيطرة لاشعورية، وغير خاضعة للملاحظة الاختيارية.

أما الأداء فهو التوظيف أو الاستخدام الفعلي للغة في المواقف الحياتية الفعلية. وعنده أن أهم وظيفة – إن لم تكن الوظيفة الأساسية – لعلم اللغة هي دراسة الكفاءة (الطاقة) . وعلى اللغوي أن يستعين بمادة الأداء للكشف عن النظام العميق للقواعد التي يسيطر عليها المتكلم – السامع، المثالي والتي يخضعها للاستعمال في الأداء والاستخدام الفعلي.

وهذه – كما ترى – نظرية عقلية صرفة، وتهمل الجانب الاجتماعي للغة إهمالاً تاماً ولا تحاول ربط الظواهر اللغوية بالظواهر الاجتماعية. وهي – في رأي بعضهم – (د. محمود عبد الغني عياد في مقدمة ترجمته لكتاب "هدسون" – علم اللغة الاجتماعي، ص١٢) نظرية "عبثية تنطوي على مثالية متطرفة ". وهذا القول صحيح في نظرنا لأمرين: أولهما: افتراض وجود "متكلم – سامع" مثالي غير متأثر بأية عوامل خارجية.. افتراض خيالي، فالإنسان (على فرض وجوده في جماعة موحدة للغة، كما استدعى تشومسكي) لا يعيش في عزلة ولا مناص من تأثره بما يجرى حوله من ظروف وملابسات حياتية. الثاني أن اللغة سلوك اجتماعي تنمط حدوده وجوانبه وفقاً لأنماط السلوك في المجتمع.

ومهما يكن الأمر فثنائية تشومسكي في أول الأمر (شأنها في ذلك شأن ثنائية دي سوسير) لا تترك مجالاً من أي نوع للنظرة الاجتماعية إلى اللغة. ولكن البحوث المتتابعة المستمرة في هذه الثنائية وصلت إلى بعض النتائج المهمة التي أدت إلى بعض التعديلات والتفسيرات الجديدة في هذه النظرية، والتي كان لها أثر كبير في علم النفس والأنثروبولوجيا. ومن هنا بدأت المحاولات للربط بين القواعد الجراماتيكية العميقة (التي تمثل الطاقة) والعمليات الاجتماعية الواسعة. ولكن هذه

المحاولات كان يشوبها النقص – حتى وقت قريب – لاقتصارها في التحليل الشكلي للقواعد على أوجه محدودة نسبياً من "الأداء" الفعلي أو الكلام المنطوق.

أما المحاولة الجادة في سبيل هذا الربط فقد تحققت فيما سمى بعد "بالطاقة الاتصالية" وهي المسماة عند بعضهم بالطاقة الثانية، فإذا كانت الطاقة اللغوية (الأولى) تغطي قدرة المتكلم على إنتاج جمل نحوية صحيحة فإن الطاقة الاتصالية تصف قدرته على الاختيار من مجموع هذه الجمل، أي اختيار الجمل التي تعكس القوانين أو المعايير الاجتماعية، التي تحكم أنماط السلوك في المواقف الاجتماعية التي تواجهه، فإذا كان المخزون العقلي من القواعد (الطاقة) مستوعباً لدى المتكلم أمكنه أن يتصرف ويأتي بالأمثلة المناسبة لمواقفه، وإن كان الأمر بالعكس فمعناه أن طاقته فيها نقص.

هذه محاولة من بعض أتباع المدرسة التوليدية التحويلية لربط البنية السطحية (الأداء الفعلي) بالبنية الاجتماعية، وهي محاولة اقتصرت على جانب واحد فقط من جانبي الثنائية، أما الجانب الآخر وهو الطاقة – فقد بقى على حاله دون تفسير اجتماعي، ومن ثم ساغ لنا القول بأن هذه المحاولة هي الأخرى ما زالت بعيدة عن النظر الاجتماعي للغة، حيث إن هذه الثنائية كوجهي العملة يكونان كلا متكاملاً، وهو "اللغة" بمفهوم تشومسكي.

ومهما يكن الأمر فقد يظن أن اختلاف وجهات النظر في دراسة اللغة وفي طبيعتها وماهيتها وموقعها من الإنسان قد يعني الخلط أو اضطراب الفكر عند أصحاب هذه الاتجاهات، أو يعني أن هذه الاتجاهات بعضها صالح وبعضها فاسد، أو أن بعضها حق وبعضها باطل، إنه ليس كذلك بحال، إن هذا الاختلاف

في وجهات النظر إلى اللغة وإلى طرائق درسها وتحليلها والوقوف على أسرارها مرده إلى ثلاثة أمور رئيسية:

أولها: أن اللغة هي مرآة الإنسان بل هي الإنسان نفسه، والإنسان سلوكاً وفكراً ومادة وعقلاً كائن معقد، من أي جهة نظرت فيه وإليه وجدت جديداً يستحق النظر والتأمل، وكذلك لغته فهو صانعها وهي صانعته، تتغلغل في نفسه وتجري في عروقه وهو – بدوره – يمنحها نفسه ومن نفسه، يبتدعها ويرعاها، ويرويها ويغذيها، بقدر ما لديه من عناصر الري والغذاء، وبقدر حاجاته ومتطلباته في حياته المتغيرة الفائرة الثائرة فلا عجب إذن أن تبرز علوم أو اتجاهات منها تنظر في لغته، كما نظرت أصولها، أو منطلقاتها الأولى في الإنسان نفسه.

والنتيجة المنطقية لهذا كله أن تجيء هذه العلوم والاتجاهات – وإن بالتدريج – تلبي حاجة "الكل" : الإنسان ولغته.

يظهر ذلك بوضوح في تلك الأمثلة من العلوم التي تغطي تسمياتها ومسمياتها جانب هذا "الكل". من ذلك (في مجال اللغة والإنسان وحاجاته) علم اللغة المنطقي – علم اللغة الفلسفي – علم اللغة النفسي – علم اللغة السياسي – علم اللغة التربوي – علم اللغة الفيزيائي – علم اللغة البيولوجي – علم اللغة الإحصائي – علم اللغة الديني – علم اللغة الأنثروبولوجي – علم اللغة الإثنولوجي – علم اللغة الاجتماعي الذي يغطي بعضاً مما ذكر... الخ.

وهكذا ترى أن هذه التسميات أو المصطلحات جميعاً صيغت من مكونين، أحدهما يشير إلى اللغة والثاني إلى الإنسان وما يرتبط به من جوانب عقله ونفسه وفكره ودينه وتربيته وسلوكه السياسي والثقافي والاجتماعي. وإنه لجميل من وجهة

نظرنا أن تأتي هذه المصطلحات جميعاً مصوغة في صورة "كل" مركب متسقة بذلك مع "الكل" التي تدور الدراسة حوله، وهو الإنسان مادة وروحاً أو سلوكاً وفكراً.

الثاني: يرجع اختلاف وجهات النظر إلى اللغة ودراستها إلى اختلاف الزمان والمكان. ففي البدء، كان الإنسان يتعامل مع لغته بوصفها أصواتاً يتلهى أو يتغنى بها ويقضي بها حاجاته البسيطة البدائية الضيقة، ويأخذها كما لو كانت أداة إنجاز وعمل كاليد أو أداة للترفيه أو تجميع أفراد القبيلة كالرقص والحركات الجسمية الأخرى.

ولما تقدم به الزمن ونما فكره، رأى أن في لغته سراً معجزاً يكمن خلف هذه الأصوات الزاعقة، ووجه إليها نظره متأملاً، فأخضعها للفلسفة والمنطق أو درسها في نطاق هذين العلمين، وكلما سار به الزمن وتراكمت شئون الحياة من حوله، قلب لغته من زواياها المختلفة، ليربط بينها وبين هذه الشئون، نفسية كانت أم اجتماعية أم سياسية أم تربوية، وظل يجري في سلسلة الحياة وهي سلسلة تمتد بامتداد الحياة نفسها، وتتنوع حلقاتها تنوع أمور الدنيا، ومن ثم امتد نظر الإنسان إلى لغته، وتنوع أملاً في أن يقتبس من أسرارها ما يعينه على فهم هذه الأمور وإلقاء الضوء عليها، وكان رد الفعل المباشر لذلك هو ما نرى ونشاهد من تعدد جوانب النظر فيها، وفقاً لتعدد مجالات الحياة وقطبها الأساسي الإنسان ولغته.

وللمكان أيضاً دور في اختلاف وجهات النظر إلى اللغة ، فاختلاف البيئات وما يجري فيها من اختلاف الأجناس وما تتعارف عليه من نظم سياسية واجتماعية وثقافية وحضارية وتربوية ... الخ . هذا الاختلاف لابد أن ينعكس

على طرائق التفكير وأساليب التعامل في الحياة، أو قل مع اللغة والإنسان، ذلك (الكل) الذي تدور حوله ومن أجله كل عجلات البحث ومناحيه المختلفة. وفي هذا القول ما يفسر لنا سر الاختلاف في درس اللغة، وأساليب النظر فيها فللغرب منهجه، وللشرق أسلوبه، ولأوروبا رؤية وللأمريكان أخرى، وللعرب طريق، وللهنود طريق آخر، وهكذا الأمر في بقية البقاع والأصقاع.

الثالث: يدور اختلاف وجهات النظر في اللغة مع اختلاف مناحي الفكر وأنماط الثقافة وضروب المعرفة السائدة في المجتمع المعين كما يدور – بشكل أساسي – مع الأهداف التي يرمي إليها الدارسون. وهذه أمثلة ثلاثة تشهد لما نقول وتوضحه.

كان دي سوسير عند وضع نظريته متأثراً (من ضمن ما تأثر به) بفكرة "دور كايم" المتمثلة في ثنائيته، "العقل الجماعي" و"العقل الفردي" فانطلق هو الآخر إلى ثنائيته "اللغة"و"الكلام" وانصرفت جهوده كلها إلى اللغة تاركاً "الكلام" لقوم آخرين، هم علماء النفس، كما قرر هو بنفسه، وأكد لنا أكثر من مرة أن اللغة "لا الكلام" هي وظيفة البحث في علم اللغة. ولكن علم اللغة في سابق عهده لم يكن "علماً" بالمعنى الدقيق، وإنما كانت هناك دراسات لغوية ذات أمشاج وأخلاط من الرؤى والمناهج. فحاول جاهداً أن يرسي المبادئ والحدود والضوابط التي تحيل هذه الدراسات علماً بالمعنى المقرر للعلوم الأخرى ،وقد نجح في هدفه هذا إلى حد ملحوظ.

وانعكست نظرته العلمية هذه على دراسة اللغة ذاتها، فأخذها كما لو كانت هيكلاً أو بناء أو جهازاً من النظم منعزلاً عن كل ما يحيط به من ظروف

وملابسات خارجية فكانت بذرة "البنيوية اللغوية" وفكرتها الأساسية التي تعني ((ضمن ما تعنى) النظر للغة لذاتها وبذاتها، بقطع النظر عن صاحبها وبما يحيط به من عوامل زمانية أو مكانية مهملاً بذلك التنوعات الكلامية الواقعة من الأفراد، بحسب البيئة أو الثقافة أو الأجواء الاجتماعية. ومن ثم لم يكن لدى سوسير نصيب في الدرس اللغوي الاجتماعي.

وإذا انتقلنا إلى مثال من أمريكا وجدنا أن "بلومفيلد" (وهو من هو في الدرس اللغوي بعامة والأمريكي بخاصة) كان متأثراً في أعماله إلى حد كبير بما يجرى حوله في السوق العلمية الثقافية في أمريكا.

كان هناك انشغال باللغات الهندية–الأمريكية (وهي لغات لم تكن مكتوبة في الأغلب الأعم) بقصد تعرفها والوقوف على أسرارها وخواصها، واتبع الدارسون في ذلك منهجاً مبنياً على الملاحظة المباشرة والتجريب، مكتفين بوصف الحقائق كما هي، دون الدخول في التأويلات أو الافتراضات أو البحث عما يسمى "بالبنية العميقة" وقد صاحب هذه النظرة الواقعية إلى اللغة تأثرهم بعلم النفس السلوكي الذي كان يسيطر على الفكر الأمريكي آنذاك.

وإنك لتجد أثر هذين العاملين "وغيرهما" واضحاً في المبادئ الأساسية لنظرية بلومفيلد. فهو أولاً يحاول التفريق بين "اللغة" و"الكلام" وقنع بدراسة المنطوق (سميته لغة أو كلاماً) بوصفه الحقيقة الواقعة تحت الملاحظة المباشرة، كما قنع بوصف البنية السطحية لهذا المنطوق ونظر إلى هذا المنطوق (الكلام) على أنه عنصر في سلسلة من المثيرات أو الدوافع، ومن الاستجابات وردود الأفعال. ومن هنا كانت تسمية نظريته بالنظرية "الشكلية" أحياناً بالسلوكية أحياناً أخرى بجانب نعوت أخرى، عرفت بها هذه النظرية.

وعلى الرغم من حسبانه "الكلام" أساساً للدرس، فإنه لم يول اهتماماً يذكر إلى تلك التنوعات الكلامية التي تقع من أفراد المتكلمين، أو إلى ربطها بتنوع الفئات أو الطبقات الاجتماعية. ومن ثم لا نحسبه من علماء اللغة الاجتماعيين بالمعنى الدقيق.

ويأتي بعد دور علماء اللغة العربية في النظر إلى لغتهم. كان جو التقعيد اللغوي مشحوناً بالأفكار الفلسفية والمنطقية، وكان همهم الأول والأخير وضع معايير وضوابط ثابتة ينبغي إتباعها، قصداً إلى جمع الناس على كلمة سواء، تتحقق في المحافظة على كتاب الله وقرآنه المجيد. ولقد كان لهذا الجو ولهذا الهدف أثر ملحوظ في الدرس اللغوي العربي.

أما الأثر الفلسفي فواضح للعيان لا يحتاج – عند المصنفين– إلى تدليل أو استشهاد، أما مبدأ "المعيارية" فقد جرهم إلى الخلط في المناهج . وذلك أن "المعيارية" بمعناها الدقيق طريق صعب ومثل أعلى، فهي تضطر الباحث (في اللغة بالذات) إلى أن يسلك مسالكا ودروباً شتى، حتى يصل إلى معايير ثابتة منضبطة تغطي كل الظواهر اللغوية، بقطع النظر عما يبدو في هذه الظواهر أحياناً، من التنوع والاختلاف. ومن ثم كانوا يلجأون إلى إخضاع هذه التنوعات والاختلافات للقاعدة العامة أو المعيار المعين، بسبل منهجية متعددة، كالتأويل والتعليل والافتراض أو الحكم بالشذوذ أو بإعمال الفكر الفلسفي أو المنطقي، كما كانوا يلجأون إلى الوصف أيضاً عند الحاجة.

فالنظرية اللغوية عند العرب إذن نظرية معيارية في أساسها نهجوا في تحقيقها مناهج متنوعة. وكان هدفهم من ذلك – على ما نرى – الحفاظ على

لغتهم، وصونها من التوزع، أو قل من الانحراف والوقوع في الخطأ قصداً إلى توحيد الكلمة، وتأكيد الهوية ومحافظة على كتاب الله الكريم.

ولكننا مع ذلك لا ننكر أن للعرب – لغويين وبلاغيين ومفكرين – نظرات اجتماعية إلى اللغة من زوايا مختلفة.

وخلاصة القول في كل هذا الذي مر فيما يتعلق باختلاف وجهات النظر في اللغة بين الدارسين، إنما مرده إلى اختلاف الزمان والمكان، وما يجري فيهما من تغيرات وتطورات في المعرفة والثقافة، والرؤى الفكرية والعلمية، وهذه التغيرات والتطورات من شأنها أن تحدد الهدف من دراسة اللغة والزاوية المعينة التي ينطلق إليها الباحث تحقيقاً لهذا الهدف.

ومعنى ذلك أن كل نظرية أو وجهة صالحة متقبلة في إطار هدفها وفي حدود الزاوية المعينة التي يخصصها الدارس لعمله، ويفردها للبحث والتحليل. هذا بالإضافة إلى أن لكل دارس (أو مدرسة) منهجه وأسلوبه في التعامل مع اللغة.

والاعتراض على بعض هذه النظريات أو النقد الذي يوجهه إليها لا يعني فسادها أو بطلانها (في إطارها المحدد لها) بقدر ما يعني أن فيها نقصاً أو تجاوزاً أو إغفالاً لجوانب أخرى من اللغة، هي أحق بالنظر والدراسة في رأي المعترضين والناقدين، أو كان ينبغي أخذها في الحسبان في أقل تقدير.

ومن هذا المنظور كان اتجاهنا الذي تبنيناه منذ انشغلنا بالدرس اللغوي المتخصص سنة ١٩٤٩م، والذي استقر لدينا اتجاهاً صالحاً للعمل حتى الآن، وهذا الاتجاه تنطلق مسيرته، وتفرع دروبه ومناحيه في إطار المبدأ المعروف غير

المنكور من أي قبيل، وإن أهمله بعضهم، وهو (أن اللغة ظاهرة اجتماعية) أو هي ضرب من السلوك الاجتماعي والثقافي).

فاللغة لا يمكننا فهمها أو درسها وتحليلها أو تعليمها وتعلمها منعزلة عن سياقها الاجتماعي. فالمجتمع بكل ما فيه ومن فيه لابد أن يؤثر في اللغة بكل مستوياتها أصواتاً وصرفاً ونحواً ودلالة وألفاظاً.

كما يؤثر فيها تنوعاً واختلافاً في الأداء الفعلي وفي الحصيلة اللغوية متراكمة لدى الأفراد أو الفئات والطبقات.

فالافتراض الزاعم بوحدة اللغة أو بأنها أنظمة محكمة كاملة من القواعد المنغلقة على نفسها، ومنعزلة عما يجري حولها (وهو ما يراه البنويون الأوروبيون) كافتراض خيالي، أو هو على أحسن الفروض- لو اعترفنا جدلاً بوحدة قواعد اللغة – افتراض قد أهمل الجانب الأكبر من الحقيقة، وهو جانب التفاعل مع المجتمع، وهذا القول برمته ينطبق بصورة أقوى وأشد على التوليديين التحويليين الذين ينطلقون في عملهم من مبدأ خيالي هو افتراض وجود متكلم سامع مثالي غير متأثر بالتنوعات أو الفروق الكلامية في المجتمع.

لو أمعنا النظر في الآثار المترتبة على الظروف والملابسات الاجتماعية لأيقنا أن هذه الآثار لابد أن تنعكس (إن عاجلاً أو آجلاً) على تلك "النظم المحكمة المزعومة للقواعد" و"على فكرة "المتكلم – السامع "التي ادعوها". ليست هناك قواعد لغوية موحدة أو محكمة في أي بيئة من البيئات، وليس هناك إنسان "خيالي" أو مثالي، كهذا الذي افترض التوليديون التحويليون وجوده.

وفي يقيننا أن علم اللغة الاجتماعي في مقدوره أن يعالج هذه العيوب بسد هذه النواقص التي عانى منها علم اللغة على فترات مختلفة من الزمن. في يقيننا كذلك تابعين في ذلك هدسون "أن دراسة اللغة دون الرجوع إلى السياق الاجتماعي جهد لا يستحق العناء"، وعلى ذلك فإن استخدام السابقة (علم اللغة الاجتماعي) يعد نوعاً من الحشو، ومعنى هذا أنه يمكن الاكتفاء بالمصطلح العام المشهور "علم اللغة" أو"علم اللغة العام"، دون نعته بالاجتماعي، على أن يتولى مسئولية النظرة الاجتماعية للغة في كل مراحله، وهذا هو منهجنا، وهو ما نسير على منواله حتى الآن، وإن كنا في هذا العمل الحاضر بالذات آثرنا المصطلح الآخر "علم اللغة الاجتماعي"، بقصد التنويه إلى كل ما ذكر، وللتركيز على الجانب الاجتماعي للغة.

الفصل الخامس

علم الجغرافيا

تمهيـــــد:

تشير الدراسات المهتمة بتاريخ العلوم إلى أن أول من أطلق هذه التسمية هو (الصوري) من الحضارة الفينيقية السامية الأصل، وكان بطليموس قد نقل عنه المصطلح الذي يعني وصف الأرض على الرغم مما يراه البعض من أن الإغريقي ايراتوستنيز ٢٤٠ق.م من علماء مكتبة الإسكندرية هو أول من ألف كتاباً تحت مسمى الجغرافيا. ورغم أن هذه التسمية قد رادفت عند الجغرافيين المسلمين أيضاً ما يسمى بتقويم البلدان وغيرها، إلا أن التسمية سادت في جميع أنحاء العالم.

وقد كثر تعريف علم الجغرافيا وتعدد نظراً لتعدد المواضيع التي يتناولها هذا العلم من ظاهرات طبيعية وأخرى بشرية ومدى العلاقة المتبادلة بين تأثير كل منهما بالأخرى فعلى الرغم مما اكتسبته الجغرافيا قديماً من سمة وصفية لظاهرات سطح الأرض الطبيعية والبشرية إلا أن الجغرافيا الحديثة قد اهتمت بالإضافة إلى ذلك بإظهار العلاقة المكانية بين الظاهرات الطبيعية والبشرية والعوامل المؤثرة فيها وذلك بالاستعانة بجميع العلوم المساعدة الأخرى كالأرصاد الجوية والمناخ وعلم الصخور والجيولوجية والتربة والأحياء والنبات وغيرها.

ومن ثم فقد ارتبط تطور علم الجغرافيا حالياً بتطور هذه العلوم والتي اعتمدت حديثاً على تقنيات حديثة كالتصوير الجوي والاستشعار عن بعد وتقنيات نظم المعلومات الجغرافية أجهزة تحديد المواقع العالمي G.P.S.

١- تعريف الجغرافيا حديثاً:

تعدد تعاريف الجغرافيا على مستوى العالم والمناطق العربية وأهم هذه التعاريف في العالم العربي تتمثل في التالي:

١- محمد عبد الغني سعودي: علم الجغرافيا هو الذي يهتم بدارسة البيئة الطبيعية والإنسان والعلاقة المتبادلة بينهما ومحاولة تفسير التنظيم المكاني للظواهر الجغرافية المختلفة "الظواهر الطبيعية والبشرية".

٢- تعريف موسى شاعري يقول بأن: الجغرافيا هي علم الذي يدرس شخصية المكان طبيعياً وبشرياً دراسة تحليل وتوزيع وتعليل بهدف استخدامها في الجوانب التطبيقية.

٣- حسن أبو العنين يقول: الجغرافيا هي العلم الذي يدرس البيئة والإنسان ومدى العلاقة والتفاعل بينهما وأثر الإنسان في تشكيل البيئة في نشاط الإنسان وحياته.

٤- محمد حجازي يقول بأن الجغرافيا هي: العلم الذي يهتم بدراسة العلاقة بين الإنسان والأرض التي يعيش فوقها بمقدار ما يؤثر فيها وتهتم الجغرافيا بالنظم المكانية البيئية والنشاط الإنساني على سطح الأرض.

٥- محمد محمود محمدين وطه عثمان الفراء من كتابهم في"المدخل إلى علم الجغرافيا" الجغرافيا هي: علم من العلوم الإنسانية يدرس سطح الأرض في تباينه المساحي بوصفه موطنا للإنسان وذلك بأسلوب علمي منظم يقوم

على الملاحظة والوصف والشرح واستنتاج العلاقات القائمة بينهما وبين الإنسان في البيئات المختلفة.

٦- في كتابه عن الجغرافيا الطبيعية يقول محمد سامي عسل بأن: الجغرافيا هي دراسة العلاقات المتبادلة بين الظاهرات المختلفة في مكان معين ودراسة العلاقات المكانية بين الظاهرات في الأماكن المختلفة.

٧- في كتاب البحث الجغرافي مناهجه وأساليبه لصفوح خير يقول بأن: الجغرافيا هي علم دراسة العلاقات بين البيئة الطبيعية والإنسان أو هي علم دراسة توافق النشاطات البشرية للبيئة الطبيعية.

٨- شاكر خصباك في كتابه "عن طبيعة الجغرافيا" يقول بأن: الجغرافيا هي العلم الذي يهتم بدراسة الظواهر الجغرافية المختلفة على سطح الأرض وقد تشمل هذه الدراسة الاهتمام ظاهرة أو الظاهرات الطبيعية كانت أم بشرية.

٩- فوزي الأسدي في كتابه عن جغرافية أمريكا الشمالية يقول بأن: الجغرافيا هي العلم الذي يهتم بدراسة العلاقات المتبادلة بين الظواهر الطبيعية والبشرية الموجودة على سطح الأرض فالجغرافيا إذن هي علم العلاقات المكانية بقدر ما تهدف إلى خدمة الإنسان.

١٠- في كتاب الجغرافيا السياسية لمحمد متولي ومحمود أبو العلا يقول بأن: الجغرافيا تدرس الظاهرات على سطح الأرض الطبيعية والبشرية القائمة في الوقت الحالي.

وتسمح الدراسة المقارنة لجملة هذه التعاريف التوصل إلى التعريف الشامل الذي يجب كما سبق ذكره إيجاز حقل ومهمة الجغرافيا وأهدافها بالصورة التالية:

الجغرافيا هي العلم الذي يهتم بدراسة الانتظام المكاني- المجالي- الزماني لمختلف المكونات الجغرافية لسطح الأرض الطبيعية والبشرية والاقتصادية بهدف الاستغلال الأمثل لهذا السطح لصالح الإنسان وضرورات حياته وحسب الشروط المحددة للشخصيات المختلفة للأقاليم.

وتدرس الجغرافيا الحديثة كل من البيئة والإنسان الذي يعيش فيها نظراً لأن كل منهما يؤثر في الآخر أو يتأثر به ومن ثم فإن طبيعية الجغرافيا تجمع بين مختلف العلوم البيئية نظراً لحاجتها إلى تحليل هذا التأثير المتبادل بين كل من الإنسان والبيئة وأن من أهم ما يميز الجغرافيا الحديثة مساهمتها في حل كثير من المشكلات البيئية سواء أكانت طبيعية أم بشرية أم اجتماعية- سياسية وغيرها، وذلك كون الجغرافيون مؤهلون لفهم مدى التفاعل بين المكونات البيئية المختلفة ومن ثم انقسمت الجغرافيا الحديثة إلى شقين طبيعي (بيئي) وبشري.

الجغرافيا الطبيعية:

تدرس الجغرافيا الطبيعية معالم سطح الأرض سواء أكان الغلاف الصخري أم الغلاف الغازي أم الغلاف الحيوي نظراً لأنه يشكل البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الإنسان حيث يؤثر الإنسان في جميع هذه الأغلفة دون استثناء كما يتأثر فيها أيضاً وتشهد عمليات نشاط الإنسان الأخيرة مدى تأثيره سواء في الغلاف الصخري أم في الغلاف الحيوي الذي تأثر بشكل أكبر نتيجة عمليات القطع المستمرة والمتواصلة للغطاء الغابي وازدياد عمليات التصحر. كما أن الغلاف

الغازي والذي يساهم في عمليات الغلاف الحيوي قد تأثر بنشاط الإنسان بشكل كبير وهو ما أدى إلى زيادة التصحر وزيادة الفيضانات في أن واحد إضافة إلى دوره في عمليات التغير المناخي الذي تشهده الأرضي ومن ثم لا يمكن القول بعدم تأثير الإنسان في البيئة الطبيعية أو التعليل من هذا الدور.

الجغرافيا البشرية:

سبقت الإشارة إلى تأثير الإنسان في بيئته الطبيعية سواء بشكل مباشر أم غير مباشر عن طريق الأنشطة البشرية على سطح الأرض، وبالتالي فإن الجغرافيا البشرية هي تلك التي تبحث في هذه الأنشطة البشرية وقبلها توزيع السكان وخصائصهم الاجتماعية سواء في المدن أم الريف كما تدرس أنشطتهم الاقتصادية كالزراعة والصناعة والثورة الحيوانية إضافة إلى أنشطتهم الصناعية.

الجغرافيا وأقسامها الفرعية:

سبقت الإشارة إلى الشقيين الأساسيين للجغرافيا الطبيعية والبشرية إلا أن كل منهما قد شمل العديد من الفروع الجغرافية التي تزداد يوماً بعد يوم مع التطور الحضاري للمجتمعات البشرية وفيما يلي أهم فروع الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية والعلوم الأخرى المساندة لها:

العلوم المكونة للجغرافيا:

وتتكون مجموعة العلوم الجغرافية من خمسة عائلات من العلوم هي:

- العلوم في الجغرافيا الطبيعية.
- العلوم في الجغرافيا البشرية.
- العلوم في الجغرافيا الاقتصادية.

- العلوم الجغرافيا المساندة.
- العلوم في الجغرافيا الإقليمية.
- العلوم المتممة للجغرافيا.

ويمكن أن نعدد العلوم التي تتبع كل مجموعة كما يلي:

العلوم في الجغرافيا الطبيعية:

وتدرس هذه المجموعة المكونات التي خلقها الله سبحانه وتعالى لسطح الأرض وهي:

١- علم أشكال سطح الأرض أو الجيومورفولوجيا.

٢- علم المناخ أو الكليماتولوجي.

٣- علم جغرافية التربة أو البيدوجيوغرافي.

٤- علم المياه السطحية أو الهيدرولوجي.

٥- علم الجغرافيا الحيوية أو البيوجيوغرافي.

العلوم في الجغرافيا البشرية:

وتدرس هذه العلوم المكونات البشرية لسطح الأرض تلك الناتجة عن تفاعل الإنسان مع أرضه ومن أهم هذه العلوم:

١- جغرافية السكان.

٢- جغرافية المدن أو الحضر.

٣- جغرافية الريف.

٤- الجغرافيا الطبية.

٥- الجغرافيا السياسية.

٦- الجغرافيا الاجتماعية.

٧- الجغرافيا الثقافية.

٨- جغرافية التخطيط الحضري.

٩- جغرافية التخطيط الريفي.

١٠- جغرافية الأخطار.

١١- جغرافية البيئة والتلوث.

العلوم في الجغرافيا الاقتصادية:

وتدرس مختلف مكونات سطح الأرض التي انبثقت من النشاط اللاقتصادي للإنسان أو التي تتعلق بطبيعة المكون الجغرافي لسطح الأرض إذا كان مولدا للثروة أي ذي طبيعة اقتصادية، ومن أهم هذه العلوم يأتي:

١- جغرافية الصناعة.

٢- جغرافية الإنتاج الزراعي.

٣- جغرافية الخدمات.

٤- جغرافية التجارة.

٥- جغرافية الطاقة.

٦- جغرافية السياحة.

٧- جغرافية النقل والمواصلات.

٨- جغرافية التخطيط الاقتصادي.

العلوم في الجغرافيا المساندة أو المساعدة:

وهي مجموعة العلوم التي تساعد الجغرافي على أداء مهمته والتي تقوم عليها الجغرافيا الحديثة:

١- علم الخرائط أو الكارتوجرافي.

٢- الأساليب الكمية.

٣- الأساليب البيانية.

٤- النظم والتقنيات الجغرافية:

- نظم المعلومات الجغرافية.
- نظم الاستشعار عن بعد (المرئيات الجوية ومرئيات الأقمار الصناعية).
- نظم التوقيعات المكانية.
- نظم التحليل الإحصائي والرياضي.

٥- تحليل الخرائط للأغراض الجغرافية:

- تحليل الخرائط الكنتورية أو الطبغرافية.
- تحليل الخرائط الجيولوجية.
- تحليل خرائط الأرصاد الجوية.

العلوم في الجغرافيا الإقليمية:

وهي مجموعة العلوم التي تهتم بإجراء دراسات جغرافية متكاملة لأحد الأقاليم أو أحدى دول العالم، ونتصور هنا استحالة أن تكون الأعمال الإقليمية مقدمة من باحث واحد وعادة ما تقدم من قبل عدد من الباحثين في مختلف التخصصات، ومن أمثلة الدراسات الإقليمية ما يلي:

- جغرافية المملكة العربية السعودية.
- جغرافية المنطقة الغربية للأراضي السعودية.
- جغرافية المغرب العربي.
- جغرافية الأراضي الجبلية في بلاد الشام.
- جغرافية.... إلخ.

وتجدر الإشارة إلى تلك الدراسات الجغرافية التي تشتمل على مساحات كبيرة تتعدى حدود الأقاليم أو الدول لتهتم بجغرافية أراض واسعة جدا "بهدف إبراز الخصائص الجغرافية العاملة على وحدة الكيان الجغرافي لهذه الأراضي الواسعة جداً" في هذه الحالة بالدراسات الجغرافية النطاقية ومثال عنها:

- جغرافية العروض الباردة والقطبية.
- جغرافية المناطق الحارة.
- جغرافية الأرضي الجافة وشبه الجافة.
- جغرافية أفريقيا جنوب الصحراء.
- جغرافية الأمريكتين.
- جغرافية .... إلخ.

العلوم في الجغرافية المتممة:

وتعرف بأنها مجموعة العلوم التي تؤدي إلى إتمام التكوين الجغرافي لطلبة العلوم الجغرافية وهي لا تشكل بالضرورة أحد التخصصات الجغرافية ومثال عنها:

- جغرافية البحار والمحيطات.
- الجغرافيا الفلكية.
- مبادئ المساحة.
- .... إلخ.

الفصل السادس

الاتصال الجماهيري (الإعلام)

تمهيـــــد:

نعيش اليوم عصر الإعلام، الذي يتميز بقدرته على توصيل الرسائل إلى جمهور عريض متباين الاتجاهات والمستويات، ولإفراد غير معروفين للقائم بالاتصال، تصلهم الرسالة في نفس اللحظة، وبسرعة فائقة، مع مقدرة على تكوين رأي عام، وعلى تنمية اتجاهات وأنماط من السلوك غير موجودة أصلا، والمقدرة على نقل الأفكار والمعارف. فالإعلام اليوم "لم يعد وسيلة هدفها الترفيه أو الإخبار فقط، بل صار اداة من أدوات السياسة الداخلية والخارجية والترويج والتسويق السياسي لأية دولة" من الدول ومحركا أساسيا للإقتصاد، ووسيلة لتحقيق الإصلاح والتطوير الاجتماعي. والعالم يشاهد يوميا كيفية تعامل الإعلام عبر وسائله مع القضايا والأحداث العالمية. وفي هذا الجزء من مادة المدخل إلى العلوم الاجتماعية سيتم تزويد الطالب بلمحة سريعة عن مفهوم وتطور الإعلام وأهم الوظائف التي يقوم بها الإعلام للفرد والمجتمع، إضافة إلى أهم مجالات الإعلام والتطورات التقنية التى أثرت على عمل الإعلام في مسيرته التاريخية.

مفهوم الاتصال الجماهيرى (الإعلام):

من المداخل الأساسية لدراسة الإعلام (الاتصال الجماهيري) مدخل التعريفات والمفاهيم الأساسية، ذلك أن علم الاتصال الجماهيري علم حديث نسبيا مقارنة بغيره من العلوم الاجتماعية. وفي هذا المبحث سيتم تناول مجموعة من

التعاريف التى وضعها العديد من المتخصصين العرب والأجانب مع بيان مجموعة من المعايير التى اعتمد عليها المتخصصين في تعريفاتهم.

يعرف الاتصال الجماهيري بأنه عملية الاتصال التي تتم باستخدام وسائل الاتصال الجماهيرية. ويتميز بقدرته على توصيل الرسائل إلى جمهور عريض متباين الاتجاهات والمستويات، ولأفراد غير معروفين للقائم بالاتصال، تصلهم الرسالة في اللحظة نفسها وبسرعة مدهشة، مع مقدرة على خلق رأي عام، وعلى تنمية اتجاهات وأنماط من السلوك غير موجودة أصلا، والمقدرة على نقل المعارف والمعلومات. ويعرف الإعلام بأنه التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت.

ويعرف الإعلام بأنه تزويد الجمهور بالمعلومات الصحيحة أو الحقائق الواضحة. ويعرف بأنه كافة أوجه النشاط الاتصالية التى تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا والموضوعات والمشكلات ومجريات الأمور بطريقة موضوعية وبدون تحريف بما يؤدي إلى خلق أكبر درجة ممكنة من المعرفة والوعي والإدراك والإحاطة الشاملة لدى فئات جمهور المتلقين للمادة الإعلامية بكافة الحقائق والمعلومات الموضوعية الصحيحة، عن هذه القضايا والموضوعات، وبما يسهم في تنوير الرأي العام وتكوين الرأي الصائب لدى الجمهور في الوقائع والموضوعات والمشكلات المثارة والمطروحة.

نشأة وتطور وسائل الإتصال الجماهيرى:

يبدأ عصر الاتصال الجماهيري باختراع المطبعة على يد يوحنا جوتنبرج الالماني في منتصف القرن الخامس عشر. وتطورت الطباعة كثيرا خلال القرن التاسع عشر، وخلال هذا القرن اخترعت آلة تنضيد الحروف، وأصبح هناك طريقتان معروفتان للجمع الجمع الساخن بالرصاص والجمع البارد أو الجمع التصويري. كما تطورت طرق الطباعة من الطباعة البارزة والغائرة، وشاعت الآن الطباعة الملساء (الأوفست) وهي تطورت عن فكرة الطباعة الحجرية. وبعد ذلك بنصف قرن أخذ صدور الصحف يتتابع اعتبارا من بداية القرن السادس عشر. اما الصحف الحديثة المنتظمة الصدور فقد بدأت في إيطاليا في أواخر القرن السادس عشر، ثم في فرنسا وإنجلترا حوالي سنة ١٦٣٠م، وكانت الجريدة اليومية الأولى باللغة الإنجليزية هي "The Daily Courant " التى ظهرت في لندن عام ١٧٠٢م. وفي عام ١٨٩٦م تمكن جوجليمو ماركوني من اختراع الراديو، حيث أظهر عمليا انه في الإمكان إرسال إشارات كهرومغناطيسية من خلال الفضاء. وفي عام ١٩٢٠م أصبحت الإذاعة الصوتية حقيقة واقعة، حيث قامت محطة "KDKA" الأمريكية بافتتاح برامجها بإذاعة نتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية كما بدأت في الانتظام في إذاعة برامج رياضية وبرامج إخبارية. بدأت التجارب الأولى للتلفزيون في منتصف القرن العشرين. وأخذ التلفزيون في التقدم السريع حيث نجح أحد الباحثين في إرسال صورة التلفزيون بالدائرة المغلقة من واشنطن إلى نيويورك عام ١٩٢٧م، وفي العام التالي بدأت تجارب الإرسال التليفزيوني الذي قامت به شركة جنرال إليكتريك كمرحلة تجريبية، وفي عام ١٩٣٥م بدأت شبكة "NBC "بث

برامجها بطريقة منتظمة من خلال محطة نيويورك. وفي عام ١٩٤٠م أخذ التليفزيون يزداد شهرة وانتشارا وتنافسا بين الدول في مجال التليفزيون.

المدخل الوظيفي لوسائل الاتصال الجماهيري:

يعتبر المدخل الوظيفي لوسائل الإعلام أحد مدخلين أساسيين لدراسة الاتصال الجماهيري (الإعلام). فالمدخل الأول ركز على آثار وسائل الإعلام الناتجة عن تعرض الجمهور لمحتوى وسائل الإعلام. والمدخل الثاني ركز على دراسة وظائف وسائل الإعلام من خلال البحث عما تفعله هذه الوسائل من أجل الجمهور أو الكيفية التى يستخدم بها الجمهور وسائل الإعلام. وكان محور الاتجاه الثاني هو الإجابة على على سؤال أساسي: كيف ولماذا يستخدم الناس وسائل الإعلام؟ أو ماهي الدوافع التى تجعل الجمهور يتعرضون لوسائل الإعلام؟ وماهي الإشباعات التى تتحقق نتيجة لهذا التعرض؟ وماهي طبيعة هذه الاشباعات؟ وفي هذا المبحث سيتم تناول وظائف وسائل الاتصال الجماهيري من خلال ثلاثة محاور وهي:

- طرق التفكير في وظائف وسائل الإعلام
- وظائف وسائل الإعلام للمجتمع
- وظائف وسائل الإعلام للفرد

أولا: طرق التفكير في وظائف وسائل الإعلام:

يمكن التفكير في وظائف وسائل الإعلام كالتالي:

١. الوظائف الفردية مقابل الوظائف المجتمعية.

٢. وظائف المحتوى مقابل وظائف الوسيلة.

٣. وظائف ظاهرة مقابل وظائف كامنة.

٤. وظائف مقصودة مقابل وظائف غير مقصودة.

١-الوظائف الفردية مقابل الوظائفة المجتمعية:

هناك فرق بين الوظائف التى تحققها وسائل الإعلام للفرد عن الوظائف التى تحققها للمجتمع. فالبنسبة للفرد، ينصب الاهتمام على ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام؟ وماهي الإشباعات التى يبحثون عنها؟ وهل تساعد وسائل الإعلام في تحقيق رغبات واحتياجات الأفراد أم لا؟ والنسبة للمجتمع سيتم التركيز على كيف تحافظ وسائل الإعلام على استقرار المجتمع وثباته، أو كيف تعمل على التغيير؟ وما هو الدور الذي تلعبه تلك الوسائل في البناء الاقتصادي؟.

٢- وظائف المحتوى مقابل وظائف الوسيلة:

عند دراسة وظائف وسائل الإعلام، لابد أن نميز بين المحتوى الذي تعرضه هذه الوسيلة، وبين خصائص الوسيلة ذاتها. فهناك بعض الوظائف ترتبط تماما بمحتوى وسائل الإعلام، ووظائف أخرى ترتبط بنوع الوسيلة المستخدمة، أو بظروف الاستخدام وليس بالمحتوى.

٣-وظائف ظاهرة مقابل وظائف كامنة:

للإعلام وظائف ظاهرة هي الوظائف الواضحة لوسائل الإعلام، والتى ندركها تماما حين نستخدم هذه الوسائل مثل: الأخبار، والتثقيف، والتعليم،

والتوجيه، والترفيه، والإقناع. أما الوظائف الكامنة فهي الوظائف الخفية التى يعيها أو يدركها أو يفكر فيها عدد قليل من المتلقين.

٤- وظائف مقصودة مقابل وظائف غير مقصودة:

الوظائف المقصودة وغير المقصودة قد تحدث سواء أكانت للصدر أو المتلقي، فقد يطور المصدر رسائل بقصد معين، وتؤدي هذه الرسائل وظائف مختلفة تماما عما كان ينويه المصدر. ومن أبرز الأمثلة على ذلك تقديم الإعلانات.

ثانيا: وظائف وسائل الإعلام للمجتمع:

يتم التطرق هنا إلى عدد من التصورات لوظائف وسائل الإعلام للمجتمع، والتى من أهمها:

١- الوظائف المرتبطة بخدمة المجتمع:

هناك ثلاث وظائف تؤديها وسائل الإعلام في جميع المجتمعات وهي:

- مراقبة البيئة: وذلك من خلال جمع المعلومات وتوزيعها سواء أكان داخل المجتمع أو خارجه، حتى يتمكن المجتمع من التكيف مع الظروف المتغيرة، وتستخدم مراقبة البيئة كتحذير مبكر للنظام لتوفير المعرفة اللازمة لاتخاذ القرارات.
- ترابط أجزاء المجتمع في الاستجابة للبيئة: إيجاد الترابط بين أجزاء المجتمع أو ردود أفعال المجتمع تجاه البيئة المحيطة، يؤدي إلى تطور الرأي العام، فمن خلال الاتصال يتم تكوين الرأي العام ، وبدون الرأي العام لن تستطيع الحكومة

أن تقوم بدورها، فلا بد من وجود نوع من الترابط بين أجزاء المجتمع حول القضايا الأساسية.

- نقل التراث الاجتماعي عبر الأجيال: أصبحت وسائل الإعلام تقوم بدور أكبر في تقديم أطر مشتركة مرجعية للمجتمع، وتعمل على تمرير القيم والتقاليد من الأجيال السابقة إلى الأجيال التالية، خاصة عندما حدث التمدن والوفرة بدأ يحدث نوع من الانعزال والتناثر، فأصبح دور وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية ونقل التراث الاجتماعي وظيفة أساسية.

٢- الوظائف الخاصة بتدعيم نسيج المجتمع:

وتتمثل تلك الوظائف فيما يلي:

(أ) التشاور"تبادل الآراء": في أي مجتمع لابد من توافر وسائل للتشاور وتبادل الآراء والأفكار والقضايا، وتقوم وسائل الإعلام بهذه الوظيفة في المجتمع الحديث لإضفاء الشرعية على أوضاع المجتمع.

(ب) تدعيم المعايير الاجتماعية: تساعد وسائل الإعلام في إعادة التأكيد على المعايير الاجتماعية من خلال معاقبة الخارجين عن هذه المعايير، فهناك غالبا فجوة بين الأخلاقيات العامة في المجتمع، والسلوك الخاص لبعض الأفراد. هذه الفجوة يمكن التسامح معها معظم الوقت مالم يتم فضحها، فالنشر يسبب التوتر، والتوتر يؤدي إلى التغيير، وبالتالي لابد من الحفاظ على المعايير والقيم الاجتماعية.

اليومية. في بعض الحالات يبحث الجمهور عن المعلومات بوعي ... لأنه يحتاج إليها أو يرغب فيها، وفي حالات أخرى يتم البحث بدون وعي، ويحقق استخدامه لمعلومات وسائل الإعلام هدفين رئيسيينهما:

- توجيه سلوك الجمهور: المعلومات التى يحصل عليها من وسائل الإعلام توجه العديد من سلوكيات الجمهور، فهي تساعدهم في اختيارالطرق التى يسلكونها، والمواد والبرامج التى لمكن أن يشاهدوها. كما توجه سلوك الجماهير في العديد من الأمور العامة. فمن خلال مايتعرض إليه الجمهور في وسائل الإعلام يتكون لديه مخزون من البناء المعلوماتي الذي يستعين به عند مواجهة مواقف مشابهة.
- توجيه فهم الجمهور: الجمهور يستقي من وسائل الإعلام المعلومات التى تعكسها وسائل الإعلام، وقد يكون العالم الذي تنقله وسائل الإعلام حقيقي أو غير حقيقي، ولكنه لجعل الجمهور أقل قلقا وأكثر فهما.

٢- تطوير مفاهيمنا عن الذات:

المعلومات التى يحصل عليها الجمهور من وسائل الإعلام تتداخل من ملاحظاته وخبراته عن الناس الآخرين، وكيف يستجيبون لهم، فهي تشكل المادة الخام التى تطور مفهوم الجمهور عن ذاته، أو من يكون. وتساعده وسائل الإعلام على فهم نفسه بثلاث طرق هي: استكشاف الواقع، وعقد المقارنات والأضداد، والمساعدة في تجويد المهنة.

٣- تيسير التفاعل الاجتماعي:

تقوم وسائل الإعلام بتيسير تفاعلنا الاجتماعي من خلال تزويدنا بالأشياء التى نتحدث عنها ونمارسها، وتزودنا بأرضية مشتركة للمحادثات، وبعضنا يردد المعلومات التى يحصل عليها من وسائل الإعلام ويجد في ذلك مكانة اجتماعية أفضل لدى الآخرين.

٤- بديل للتفاعل الاجتماعي:

يستخدم بعض الناس وسائل الإعلام كبديل للتفاعل الاجتماعي، فهي تقدم صداقة بديلة أو تفاعل بديل. فبعض الأشخاص يتعلقون بشخصيات تلفزيونية ، ويتوحدون معها تماما في الآمال والآلام والمواقف المختلفة. وتزداد أهمية هذه الوظيفة التى تقوم بها وسائل الإعلام –بدون قصد– مع الأشخاص الذين يعيشون بمفردهم، أو منعزلين، أو كبار السن، والذين يفتقدون التفاعل الاجتماعي الطبيعي.

٥- المساعدة في الهروب من التوتر والاغتراب:

المجتمع المتمدن يشعر أفراده بنوع من التوتر والشعور بالاغتراب، وللتخلص من هذا الشعور تقدم وسائل الإعلام أساليب للهروب، فهي تقدم مواد إعلامية تساعد في تناسي أو الابتعاد عن المشكلات والهموم.

٦- إيجاد نوع من الإحساس بالنظام والأمن:

تؤدي وسائل الإعلام وظيفة التنظيم أو جدولة الحياة اليومية لبعض الأفراد، فهي تفرض عادات يحرص الفرد على المحافظة عليها، ويتيح استخدام وسائل الإعلام بشكل يومي منح بعض الأفراد الشعور بالأمن. فبعض الأفراد

يرتبون حياتهم من خلال استخدامهم لوسائل الإعلام مثل الاستماع لنشرة الأخبار في الساعة التاسعة مساء، وقراءة الصحف والمجلات صباحا.

مجالات الاتصال الجماهيرى:

فيما يلي عرضٌ لطبيعة أهم مجالات الاتصال الجماهيري، وذلك على النحو التالي:

أولا: الرأى العام:

١- تعريفات الرأي العام:

يعرف الرأي العام بأنه مجموعة اتجاهات الناس الأعضاء في نفس المجموعة الاجتماعية نحو مسألة من المسائل التى تقابلهم. ويعرف الرأي العام بأنه مجموعة الاتجاهات التى تسيطر على الجماعة إزاء مشكلة ما وتعبر عن رأي الأغلبية. كما يعرف بأنه فهم معين للمصالح العامة الأساسية يتكون لدى كافة أعضاء الجماعة. ويعرف أيضا بأنه الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة إزاء موقف من المواقف أو تصرف من التصرفات أو مسألة من المسائل العامة التى تثير اهتمامهم أو تتعلق بمصالحهم المشتركة.

٢- تقسيمات الرأي العام:

توجد العديد من التقسيمات للرأي العام أهمها التقسيمات الأتية:

أولا: التقسيم وفقا لعنصر الزمن:

- رأي عام دائم: إن الرأي العام الدائم هو الأكثر رسوخا والذي تعمل فيه العوامل المختلفة ويرسي القواعد الأساسية للرأي العام، وهو يتكون من فئة كبيرة من فئات

الناس ويتصل اتصالا قويا بالأشياء الثابتة في الأمة كالدين والأخلاق والتقاليد، أي يرتكز على أسس تاريخية وثقافية ودينية ويشترك فيه السواد الأعظم من الأمة ويمتاز بالاستقرار والثبات.

- رأي عام مؤقت: ويقوم حسب الانتماء لجماعة أو منظمة ذات أيديولوجية أو مذهب وحيال مسائل معينة في وقت محدد وينتهي بانتهاء المؤثر.

ثانيا: التقسيم وفقا للنطاق الجغرافي:

- الرأي العام المحلي: هو الرأي السائد في الشارع أو القرية أو المنطقة أو الدولة ويتميز بخصائص أهمها: التجانس ، وأمكانية التنبؤ به ، ومعالجته للمشكلات المحلية.
- الرأي العام الإقليمي: هو الرأي السائد بين مجموعة من الشعوب المتجاورة جغرافيا في فترة معينة نحو قضية أو أكثر يحتدم حولها الجدل والنقاش وتمس مصالحها المشتركة أو قيمها الإنسانية مسا مباشرا. مثال ذلك: قضية فلسطين.
- الرأي العام العالمي: وهو الرأي السائد بين أغلبية شعوب العالم في فترة معينة نحو قضية معينة أو أكثر يحتدم حولها الجدل والنقاش وتمس مصالحها المشتركة أو قيمها الإنسانية مسا مباشرا.

ثالثا: التقسيم حسب درجة الظهور:

- الرأي العام الظاهر: وهو الرأي العام المعبر عنه.
- الرأي العام الكامن: وهو الرأي العام غير الظاهر وغير المعبر عنه.

رابعا: التقسيم الكمي للرأي العام:

- رأي الأغلبية: وهو الرأي الذي يمثل رأي ما يزيد على نصف الجماعة وهو تجميع وتكرار الرأي الشخصي لأغلبية الجماعات الفعالة.
- رأي الأقلية: هو رأي مايقل عن نصف الجماعة ويعبر عن رأي طائفة من الناس لايستهان بها فقد يكون بين صفوف الأقلية بعض الأكفاء والمتخصصين.
- الرأي الساحق: وهو حالة من الاتفاق تصل إليها الجماعة أو أكثريتها الساحقة، وهو ليس رأي الأغلبية، إنما رأي قريب من الإجماع ويقترب من العادات والعرف والتقاليد.

أساليب تغيير الرأي العام:

- أسلوب التكرار والملاحقة: يعتبر أسلوب التكرار أحد الأساليب الشائعة التى تستخدمها الدعاية في كل مكان وزمان، وخاصة حين تتجه المخاطبة إلى إثارة العواطف والمشاعر لا إلى العقل.
- أسلوب الإثارة العاطفية: تعتمد الدعاية أساسا على إثارة العواطف لاعلى المناقشة والاقناع، وإنما تنبع عن احتقار دفين للجماهير.
- أسلوب عرض الحقائق: يعتمد هذا الأسلوب على وصول الحقائق إلى أكبر عدد ممكن من الناس على أساس أن الحقائق الملموسة أقوى أثرا وأبقى من الأكاذيب والتهاويل والشائعات.
- أسلوب تحويل انتباه الجمهور: وذلك بتحويل انتباه الجمهور إلى موضوع آخر في مثل أهمية الموضوع المثار أو أكثر أهمية منه.

- أسلوب البرامج الإيجابية المحددة: التصريحات الإيجابية المتسمة بالإيمان بالمستقبل والتفاؤل به، تضاعف تأثيرها على الجماهير.
- الشائعات: وهي الترويج لمعلومات غير واقعية أو تعمد المبالغة والتهويل في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة أو إضافة معلومة كاذبة لخبر معظمه صحيح.

ثانيا: الدعاية:

تعريف الدعاية:

تعرف الدعاية بأنها محاولة التأثير في نفوس الجماهير والتحكم في سلوكهم لأغراض تعتبر غير علمية أو ذات قيمة مشكوك فيها في مجتمع ما وفي زمن معين. وتعرف بأنها نشاط أو فن إغراء الغير والتصرف بطريقة معينة بحيث إنه ماكان ليتصرف بها في حالة غياب هذه الدعاية.

ويعرفها معجم المصطلحات الإعلامية بأنها التأثير على آراء ومعتقدات الجماهير لجعلها تتخذ اتجاها معينا نحو نظام أو مذهب بصورة إيجابية أو سلبية، كما تحاول تهيئة نفسيات الأفراد لقبول وجهات النظر التى تدعو لها والتشبع بها.

الأهداف التى تحققها الدعاية:

- حماية المجتمع من دعاية العدو.
- وقف أو تخفيف أثر الدعاية على المواطنين.
- تعبئة الكراهية ضد العدو.

- تقوية الروح المعنوية لدى شرائح المجتمع.
- زعزعة الثقة بين العدو وبين شرائح مجتمعه.
- بناء صورة حسنة عن المجتمع.
- نشر الأفكار والمعتقدات.

أساليب وتكنيك الدعاية:

تستخدم الدعاية عدة أساليب فنية منها :

- استخدام الصور الذهنية.
- استبدال الأسماء والمصطلحات.
- الكذب المستمر.
- التكرار.
- تحويل الانتباه.
- بث الرعب والخوف.
- افتعال الأزمات.
- الشائعات.

ثالثا: الإعلان:

تعريف الإعلان:

تعرف جمعية التسويق الأمريكية الإعلان بأنه مختلف نواحي النشاط التى تؤدي إلى نشر أو إذاعة الرسائل الإعلانية المرئية والمسموعة والمكتوبة على

الجمهور بغرض حثه على شراء سلع أو خدمات أو من أجل استمالته إلى التقبل الطيب لأفكار أو أشخاص أو منشآت معلن عنها.

وتعرفه دائرة المعارف الفرنسية الكبرى بأنه مجموع الوسائل المستخدمة لتعريف الجمهور بمنشأة تجارية أو صناعية بامتياز منتجاتها والإيعاز إليه بطريقة ما بحاجته إليها.

خصائص الإعلان:

- الإعلان عملية اتصال جماهيرية.
- انتفاء العنصر الشخصي في الإعلان.
- الإعلان نشاط يستخدم بواسطة كافة المنظمات الهادفة وغير الهادفة إلى الربح وكذلك الأفراد.
- المادة الإعلامية المنشورة أو المعروضة أو المذاعة مدفوعة الأجر.
- يستخدم الإعلان كافة الوسائل الإعلانية لنقل الرسالة الإعلانية.
- وضوح وظهور شخصية المعلن واسمه في الرسالة الإعلانية.
- يوجه الإعلان إلى جماعات محددة من المستهلكين من المفترض أنه تمت دراستهم من النواحي الديموغرافية والاجتماعية والنفسية والمعرفية.

- يستهدف الإعلان إقناع المستهلكين بشراء السلعة أو طلب الخدمة المعلن عنها، وبالتالي يستهدف إحداث تأثير معين على سلوك المستهلكين من خلال كونه نشاطا اتصاليا إقناعيا.

أنواع الإعلانات:

تقسم الإعلانات إلى عدة أنواع رئيسة هي:

- الإعلان التعليمي: ويتعلق بتسويق السلعة الجديدة التى لم يسبق لها وجود في السوق من قبل أو السلع القديمة المعروفة التى ظهرت لها لها استعمالات لم تكن معروفة من قبل المستهلكين.
- الإعلان الإرشادي أو الإخباري: يستهدف هذا النوع من الإعلانات إخبار الجمهور بالمعلومات التى تيسر له الحصول على الشيء المعلن عنه بأقل جهد وفي أقصر وقت وبأقل نفقات، وإرشاد الجمهور إلى كيفية إشباع حاجاته.
- الإعلان الإعلامي: يعمل على تقوية صناعة أو نوع معين من السلع أو الخدمات أو إحدى المنشآت، وذلك بتقديم بيانات للجمهور يؤدي نشرها أو إذاعتها بين الأفراد إلى تقوية الصلة بينهم وبين المنتج مما يبعث الثقة أو يقويها.
- الإعلان التذكيري: يتعلق الإعلان التذكيري بسلع أو خدمات أو أفكار أو منشآت معروفة بطبيعتها ومعروفة خصائصها للجمهور بقصد التذكير بها والتغلب على عادة النسيان لدى الجمهور.
- الإعلان التنافسي.

أهداف الإعلان:

تتمثل أهداف الإعلان فيما يلي:

- خلق صورة ومركز متميز للمنشأة ومنتجاتها بحيث يصعب على الآخرين تقليده أو النيل منه مما يؤدي بطبيعة الأمر إلى الإسهام في زيادة أرباح المنشأة.
- زيادة معلومات المستهلكين الحاليين والمرتقبين عن منتجات المنشأة وخدماتها من حيث: خصائصها ومميزاتها وأشكالها وأسعارها واستخداماتها.
- زيادة المبيعات الكلية للمنشأة أو زيادة المبيعات من سلعة معينة أو زيادة الإقبال على خدمة معينة عن طريق اجتذاب مستهلكين جدد أو زيادة معدل استخدام السلعة لدى المستهلكين الحاليين.
- مواجهة المنافسة التجارية أو الإعلانية من السلع أو الخدمات المنافسة.
- زيادة مستوى تفضيل المستهلكين لمنتجات المنشأة أو خدماتها دون الخدمات أو المنتجات المنافسة، وزيادة رغبة المستهلكين في شراء المنتجات أو الإقبال على الخدمات.
- تقليل مخاوف المستهلكين من استعمال النتجات أو الإقبال على الخدمات.
- تذكير المستهلكين المرتقبين بأسماء المنتجات أو الخدمات للتأثير المستمر في قرارات الشراء.

رابعا: العلاقات العامة:

١- تعريف العلاقات العامة:

تعرف العلاقات العامة بأنها اتجاه أساسي وفلسفة للأدارة تعتمد بأنانية مستنيرة وضع المصلحة العامة في المقام الأول في كل قرار يؤثر على سير أعمال المنظمة.

وتعرفها دائرة المعارف البريطانية بأنها السياسات والأنشطة التى تستهدف نقل المعلومات وتحسين اتجاهات الجمهور نحو فرد أو مؤسسة أو دائرة حكومية أو أي هيئة أخرى.

٢- صفات رجل العلاقات العامة:

- التمتع بالذكاء، القدرة على إصدار الأحكام، وبقدرات قيادية.
- القدرة على توليد الأفكار.
- التفكير السريع واتخاذ القرار بعد ذلك.
- مهارات كتابية فنية سريعة.
- القدرة على تفسير المعلومات وإيجاد الحقائق ثم إعادة تبويبها.
- معرفة تامة بالعمل التجاري.
- القدرة على تنظيم نفسه وتقديمها للآخرين.

٣- أنشطة رجل العلاقات العامة:

- تحسين صورة المنشأة.
- نقل تجاوب الجمهور إلى المؤسسة.
- تسهيل التفاهم بين المؤسسة والجمهور.
- تنظيم المؤتمرات.
- الاتصال بالفعاليات السياسية والمالية والقانونية.

الفصل السابع

المعلومات: ماهيتها وأهميتها

تعريف المعلومات:

إن لفظ المعلومات يقابله بالإنجليزية كلمة Information وهذه الكلمة لها معان يمكن أن يكون من أكثرها استخداما لدينا نحن العرب لفظي المعلومات والإعلام فنقول وزارة الإعلام مثلاً Ministry of Information ونقول أيضاً علم المعلومات Information Science . وهناك تعريفات متعددة لعلم المعلومات منها المتشابه ومنها المختلف لكننا في هذا الخصوص نعني به العلم الذي يهتم بجمع البيانات أو المعلومات وتنظيمها وتخزينها ثم إمكانية استرجاع ما يحتاجه المستفيدين منها وذلك باستخدام أفضل التقنيات الحديثة. ونقصد بالتقنية هنا النظم والبرامج والأجهزة التي يحتاج إليها العاملون والدارسون والباحثون في هذا المجال لإنجاز أعمالهم المنوطة بهم.

ومن ضمن تعريفات المعلومات :

البيانات التي تمت معالجتها لتحقيق هدف معين أو لاستعمال محدد لغرض اتخاذ القرارات ، أي البيانات التي أصبح لها قيمة بعد تحليلها ، أو تفسيرها ، أو تجميعها في شكل ذي معنى والتي يمكن تداولها وتسجيلها ونشرها وتوزيعها في صورة رسمية أو غير رسمية وفي أي شكل .

ولعل أوضح مثال للمعلومات هو عملية اتخاذ القرارات عند أي فرد عندما يجد نفسه في وضع يدفعه أو يلزمه باتخاذ قرار وليس بالضرورة أن يكون ذلك القرار مهماً. فالشخص في هذه العملية كلها يحاول استعراض الخيارات المتاحة له والواقع الذي يعيشه في اللحظة نفسها،كما يحاول عمل المقارنات والمفاضلات وكل ما يلزم لاتخاذ قرار مناسب حتى لو كان ذلك سريعاً وبدون أن يحس أنه مر أو يمر في هذه الدورة قبل أن يضع أو يتخذ القرار . هذه الدورة في عملية اتخاذ القرارات هي طريقة معالجة للمعلومات المختلفة سلكها الفرد فأصبحت العملية كلها عبارة عن سلوك وتحركات قام بها هذا الفرد .

الفرق بين البيانات والمعلومات والاتصالات والمعرفة والذكاء

المعلومات هي عبارة عن إشارات أو هي منتج عملية نقل أو اختيار أو تنظيم أو تحليل أو معالجة البيانات . وبمعنى آخر أن البيانات هي رموز مسجلة في حين أن المعلومات هي الإعلام أو الأخبار .

أما الاتصالات فهي العربة أو وسيلة نقل المعلومات وعادة ما يستخدم هذا المصطلح لتمثيل المعالجة .

فالمتلقي هو المستخدم للمعلومات وأن الفهم في أول مستوياته يعني تمييز المعلومات وتنظيمها ومحتوياتها .

من كل هذا نستطيع أن نقول بكل بساطة أن البيانات هي مصطلح عام يستخدم بغرض الإشارة إلى أي من الحقائق ، أو الأرقام ، أو الحروف ،أو الرموز،أو الحقائق التي تشير أو تصف موضوعاً ما ،أو فكرة ،أو حالة أو أية عوامل أخرى. ويتضمن هذا المعنى العناصر الأساسية للمعلومات التي تنتج من

تشغيل البيانات بواسطة الحاسب ، أي أنه يمكن القول إن المعلومات Information ما هي إلا نتيجة تجميع ، وتحليل أو تلخيص للبيانات . وفي بعض الأحيان تعتبر البيانات هي الأشكال ذات الطابع الرقمي فقط. ولكن مدلول كلمة البيانات لا يقتصر على هذا الشكل ، أي إنها ليست محدودة بالشكل الرقمي فقط . ولكنها تشمل مختلف الرموز الأخرى.

أما المعرفة فهي رصيد أو جملة من المعلومات أو الحقائق التي جمعها أو استنتجها الإنسان في وقت معين مما يزيده قوة ومقدرة على الفهم الأفضل واتخاذ القرارات المناسبة.

أما الذكاء فهو القدرة على اكتساب المعرفة ذاتياً وتخزينها وربطها بسوابقها والتكيف التلقائي مع الظروف المتغيرة التي يعيش فيها الكائن، إنساناً كان أو حيواناً أو نظاماً آلياً .

والذكاء أيضا هو استغلال المعرفة المتاحة للإجابة عن الأسئلة بصورة سليمة ومتسقة وحل المشاكل الصعبة منها والسهلة . والذكاء نوعان طبيعي يخلق مع الإنسان وصناعي بشري أيضا.

الذكاء الصناعي Artificial Intelligence

الذكاء الصناعي هو دفع الآلة التي قد تكون هي الحاسب الآلي أو الروبوت إلى جمع المعلومات والمعارف وتحليلها وعمل الاستنتاجات اللازمة واتخاذ القرارات أو الخطوات المناسبة بعد ذلك .

أما النظم الخبيرة Expert systems وهي امتداد للحديث عن الذكاء الصناعي وأحد مجالاته حيث إن العلماء هنا يقومون ببناء قاعدة معلومات تحتوي كمية معلومات كبيرة من أجل توفير ركيزة مهمة لاتخاذ القرارات أو لإيجاد الإجابات المناسبة عند الضرورة ويكون اتخاذ القرارات عن طريق البرامج أو ما يسمى بالأنظمة الخبيرة التي تستخدم قاعدة المعلومات المبنية للمعالجة والحل.

أهمية المعلومات :

أن علم المعلومات ذو إحاطة واسعة ويقدم خدماته المعلوماتية النظرية والعملية للدارسين فيه ليقوموا بدورهم بتقديم هذه المعلومات وهذه الخدمات إلى أفراد المجتمع الذين يحتاجونها في مرافق حياتهم وأعمالهم. حيث إن المعلومات حاجة أساسية لكل أفراد المجتمع. وعملية تنظيمها وتخزينها واسترجاعها مهمة أساسية تقع على عاتق العاملين في مجال المعلومات أينما وجدوا. ولا شك أن المعلومة وتوفرها هي أساس لاتخاذ القرار السليم، ولا يمكننا أن نتخذ قرارا صحيحا ما يكن لدينا معلومات صحيحة ودقيقة. لأن قوة الأفراد أو المؤسسات تقاس بقوة المعلومات التي يمتلكونها أو يستطيعون الوصول إليها. وعلى هذا الأساس تبنى عملية التفاضل أو التمييز بين محام أو مستشار بارع وآخر اقل من ذلك. كما أن قوة الدول أصبحت تقاس بمدى امتلاكها للمعلومات، والتي تستخدمها لاتخاذ القرارات السليمة و بناء على معلوماتها تضع خططها المرحلية وطويلة المدى. وفي الآونة الأخيرة بدأنا نسمع عن تجارة المعلومات وكذلك اقتصاديات المعلومات.

كل هذه المؤشرات جعلت علم المعلومات من العلوم الهامة جدا والمتطورة جدا ليواكب احتياجات ومتطلبات العصر وكذلك لتتمكن من محاولة الضبط والسيطْرة على المعلومات التي نحصل عليها ثم إخضاعها للخطوات الأخرى مثل التنظيم والتخزين والاسترجاع والتي أصبح كل منها تخصص بذاته ضمن تخصص علم المعلومات.

وعلم المعلومات يهتم بالمعلومة بشكل شامل سواء كانت هذه المعلومة صناعية أم تجارية أم زراعية أم طبية أم تقنية أم فيزيائية أم لغوية أم دينية ... الخ

ونتيجة لهذا أصبح هناك قواعد معلومات ومراكز معلومات متخصصة في مجال دون ما سواه وذلك بغرض تقديم خدمات أكثر فاعلية وأكثر فائدة.

وعند النظر إلى المصطلح من ناحية الحاسب الآلي وعلم المعلومات، فالمعلومات هنا تشير الى الظاهرة التي تهم أولئك الذين يتعاملون مع الحاسبات كأدوات معالجة معلومات.

تصل المعلومة إلى الإنسان في العادة عن طريق حواسه الخمسة المعروفة وهنا لا نقصد المعلومة المكتوبة أو المطبوعة أو المصورة فحسب ولكننا نقصد أي شكل حملت فيه المعلومة . فالمعلومة في أحيان كثيرة تكون محملة على الأفلام أو أقراص ممغنطة أو أقراص مضغوطة إضافة للأوعية التقليدية المطبوعة .

هذه الأشكال المتعددة من أوعية المعلومات المختلفة التي تحمل تلك المعلومات لها أهمية كبيرة للفرد والمؤسسة والمجتمع ولا يجهلها أي عاقل ومدرك للتطور الذي وصل إليه الإنسان في عصرنا الحاضر الذي يطلق عليه ((عصر المعلومات Information Age)) فالمعلومة وتوفرها هو أساس اتخاذ القرار الجيد وهي روافد التنمية والتطور لأي بلد حتى أن الدول تركز على توفر المعلومات وتخطط لذلك في خططها التنموية الطويلة والقصيرة الأجل وهذا موجود بالفعل في الخطط التي اعتمدتها المملكة العربية السعودية وكان آخرها خطتي التنمية الخامسة والسادسة وكذلك السابعة والثامنة .

وللتعرف على بعض المكاسب العامة التي يحققها توفر المعلومات فيمكن سرد ما يلي :

١) تنمية قدرة الدولة على الإفادة من المعلومات المتاحة ، والخبرات التي تحققت في الدول الأخرى.

٢) ترشيد وتنسيق ما تبذله الدولة من جهد في البحث والتطوير على ضوء ما هو متاح من معلومات .

٣) ضمان توفر قاعدة معرفية عريضة لحل المشكلات .

٤) توفير بدائل وأساليب حديثة لحل المشكلات الفنية، وتوفر اختيارات تكفل الحد من هذه المشكلات في المستقبل .

٥) رفع مستوى فعالية وكفاءة الأنشطة في قطاعات الإنتاج والخدمات.

٦) والأهم من كل ذلك ضمان القرارات السليمة في جميع القطاعات وعلى مختلف مستويات المسئولية .

٧) المعلومات كمورد يعتبر الأساس لأي نشاط بشري والقاعدة التي تبنى عليها القرارات تستخدم المعلومة لتنتج معلومة أخرى أيضا، وهي بذلك تعادل أو تضاهي الموارد الطبيعية ومصادر الطاقة المختلفة.

٨) المعلومات تقدم سلعة لها أهميتها الحيوية وأهميتها الإستراتيجية تبنى عليها مقومات التنمية وأسسها كلها وهي تشكل سلعة قومية إستراتيجية لا تقدر بثمن.

من هنا أصبحت المعلومات تمثل صناعة مربحة يمتهنها ويكتسب من وراءها الكثيرون في مجتمع أصبح يعرف الآن بمجتمع المعلومات Information Society وهو المجتمع الذي يعتمد على المعلومات كمورد استثماري وسلعة إستراتيجية. ومصدر للدخل القومي ،وهذا يعني أنه يمكن للمعلومة أن تباع وتشترى .

ولعل الثورة التكنولوجية التي عاشها العالم في النصف الثاني من القرن العشرين والتي تمتد جذورها لعهود قديمة قد كانت هي الأداة التي اعتمد عليها عصر المعلومات والمحور الذي تدور حوله في شكلها الحالي المتطور حتى أصبحنا نسمع عن الخط السريع للمعلومات Information Super Highway وشبكة الشبكات (الإنترنت) Internet التي ترتبط العالم بكل اتجاهاته وتعدد أنشطته.

وفي العالم العربي ،وفي المملكة العربية السعودية بالذات بدأ الاهتمام بهذه الصناعة يظهر جلياً من خلال توفر المؤسسات الخاصة التي تهتم بتوفير المعلومة وتوثيقها وتحليل مصادرها . ومن أمثلة هذه المؤسسات تأتي شركة تقنية المعلومات والتوثيق المحدودة (إنفوويز) وشركة النظم العربية المحدودة وبعض مراكز المعلومات المتخصصة التي تبيع خدماتها أيضاً مثل مركز معلومات مؤسسة عكاظ الصحفية وغيرها من الهيئات التي تخدم في هذا المجال ومن بينها بعض المؤسسات الصغيرة حول بعض الجامعات والتي تهتم بالبحث عن المعلومات وتوفرها وتسويقها وليس فقط تقديم خدمات الطباعة والنشر .

علاقة علم المعلومات بالعلوم الأخرى :

يتضح أن لعلم المعلومات علاقات متشابكة ومتعددة مع علوم أخرى قد تصل للعلوم كلها. فهذا العلم لم يترك العلوم البحتة والتطبيقية أو العلوم الإنسانية أو العلوم الاجتماعية إلا وتداخل وارتبط معها بعلاقات تصب في نطاق الاهتمام بالمعلومات وسبل الإفادة منها.

فعلوم مثل الرياضيات واللغويات والمنطق وعلم النفس وتقنية الحاسبات والاتصالات وبحوث العلميات وعلم الاجتماع وعلم المكتبات والإدارة والهندسة والاقتصاد والقانون والفنون كلها ارتبطت وتداخلت مع علم المعلومات ، فهو علم ذو طبيعة متداخلة أو مترابطة Interdisciplinary ، إن جزءاً من علم المعلومات له جذور قوية وأسس ذات صلة بالعلوم التجريبية أو البحتة والتطبيقية ويطغى عليها الجانب التقني الكامل.

من هنا نرى أن علم المعلومات علم واسع متشعب ذو علاقة متصلة بكل العلوم والفنون. وهذا واضح من طبيعة البرامج الدراسية المقدمة في أقسام المعلومات بالجامعات المختلفة. حيث أن غالبية هذه البرامج تضم عددا من المحاور الأكاديمية والتي يمثل كل منها موضوعا ومجالا من مجالات المعلومات. فمثلا هناك محور الأساسيات للعلم حيث التركيز على المفاهيم والنظريات والمناهج الأساسية لعلم المعلومات. كما يضم التأصيل النظري والتاريخي لتطور العلم، والمجالات الموضوعية محل اهتمامه، والسياسات والتشريعات واقتصاديات المعلومات. كما يتطرق للمعايير والمواصفات ذات العلاقة . ولا بد لنا من التعرف على الخدمات المقدمة للمستفيدين من هذه المعلومات. وكيفية تقديم هذه الخدمة وأدواتها (الأجهزة والبرامج). من خلال التعريف بتقنيات المعلومات وتفاعل الإنسان مع الآلة وتطبيقاتها المختلفة، من تقنية اتصال وشبكات .

ومن ناحية أخرى كتب بيرت نانوس في عام ١٩٧٦م عن علم المعلومات والمستقبل، فتوقع أن ثورة المعلومات القادمة بعد ذلك الوقت ستكون نتيجة لتزاوج تقنية الاتصالات والحاسبات، وهذا ما حصل بالفعل ونشهده الآن.

الوصول أو الحصول على المعلومات

قد نحصل على المعلومات بسهولة لكن عملية تنظيم هذه المعلومات وتبويبها ثم تخزينها بحيث تصبح سهلة الاسترجاع عند الحاجة إلى بعض منها يحتاج إلى كثير من الدقة والتنظيم والأدوات التقنية.

فتنظيم المعلومات هو العامل الرئيسي في ضبط هذه المعلومات ، كذلك تنظيمها حتى نتمكن من تخزينها والاحتفاظ بها بطريقة سليمة وسواء في ذلك مواد المعلومات الورقية أو غير الورقية أو الالكترونية منها ، و تنظيم المعلومات يشمل عدة عمليات منها :

التكنولوجيا والشبكات:

كان لتطور شبكات الاتصالات الالكترونية تأثير مباشر على عمليات الاتصال، بما أن هذه الأدوات شكلت البنية التحتية لنقل نتائج المعلومات ظهرت هذه الشبكات في الثمانينات بالولايات المتحدة حيث أنشأتها المؤسسة الوطنية للعلوم (NSF National Science Foundation) لتسهيل التعامل بين الباحثين الأمريكان. ومن أهم هذه الشبكات ما يلي:

شبكة الانترنت:

تعود الجذور الأولى للإنترنت INTER Connexion NET work إلى شبكة أربانت (ARPANET Advanced Resarch Project Agency Network) التي أنشأتها وزارة الدفاع الأمريكية عام ١٩٦٩ لتسهيل البحوث العسكرية والربط بين مختلف وحدات الدفاع لتبادل المعلومات فيما بينها، وتأمين استمرارية الاتصال بين مختلف الوحدات حتى في حال حصول خلل في إحداها، إذ أن المعلومات موزعة بين المواقع، ويمكن إعادة بناء خزان معلومات لأي موقع في حال تدميره، وذلك بفضل تقنية Dynamic Rerouting إذ يمكن تحويل أحزمة المعلومات من عقدة إلى أخرى داخل الشبكة واستخدمت تقنية ربط الحزمات Packet Switching وساهمت المؤسسة الوطنية للعلوم بالولايات المتحدة في تطوير شبكة أربانت في

ذلك باستخدام تقنية نقل الأخبار Network News Transfer Protocol- NNTP وأنشأت المؤسسة أيضاً شبكة NSFnet للربط بين جامعات الدولة، وهذه الشبكة كانت بمثابة العمود الفقري للانترنت لأنها تجمع بين خمسة أنظمة للحساب تتولى الربط بين الشبكات الكبرى.

وفي الثمانينات تولدت عن الأربانت شبكة معلومات كبرى هي الانترنت التي استخدمت لأغراض البحث العلمي المدني بالولايات المتحدة. فقد وجدت الجامعات الأمريكية بنية هذه الشبكة ملائمة لأغراض تبادل نتائج البحث الجامعي والاتصال العلمي. وفي بداية التسعينات استخدمت تقنية الواب World Wide Web في المركز الأوروبي للبحوث النووية بجينيف.

نقاط القوة في استخدام شبكة الانترنت:

إن الاستخدام الواسع لشبكة الانترنت عبر العالم كان نتيجة أربعة عوامل:

- شبكة الشبكات ليس لها مركز ولا تفرض رسوماً للدخول إليها وهي تنمو بدون عقبات تذكر.
- بروتوكول الاتصال TCP/IP يسمح بالاتصال بين مختلف الحواسيب مهما كانت لغة الحاسب وهندسته.
- التشغيل يتم وفق نمط العميل Client. بما يسهل الاتصال بين ملايين المستفيدين على نفس الخط.
- شكلHypertext Markup Language- HTML يسمح بتوليد ملفات بواسطة نظام بسيط لتحرير النصوص، ولم تعد البرمجيات الخاصة بالانترنت ضرورية لإنشاء وثائق وقراءتها على الشبكة.

تكمن أبرز نقاط القوة في الشبكة في الضغط على الوقت وعلى المسافات فالوقت الذي تأخذه عملية نقل المعلومات سريع، وهو يقصر باستمرار نتيجة التطور المذهل للتكنولوجيا، ولا علاقة له البتة بالمسافة بين موقعين سواء كان يحتسب بعشرات الكيلومترات أو آلاف الكيلومترات. لقد فتحت الشبكة آفاقاً رحبة للاتصال وتقاسم المعلومات إلا أن قواعد إدارة الشبكة لا تزال مطروحة. حيث هناك العديد من المؤسسات التي تشارك في إدارة الشبكة، وهناك جمعية الانترنت (Internet Society) والتي تقوم بإدارة الشبكة وتتولى إصدار نشرة فصلية عن أخبار وتطورات الشبكة.

بعض خدمات الانترنت:

أ- البريد الإلكتروني:

يعد البريد الإلكتروني أداة أساسية للاتصال غير النظامي، وهو يعوض في نفس الوقت ثلاث أدوات سابقة كان ولا يزال يستخدمها الباحث وهي الهاتف وآلة النسخ والبريد العادي، وهو ما يدل على قيمة هذه الوسيلة ودرجة الإقبال عليها من قبل المجتمع العلمي الذي يحتاج باستمرار إلى تبادل المعلومات بين أعضائه مهما كان موقعهم الجغرافي وعلاوة على اختراق الفضاء فإن البريد الإلكتروني، على عكس الهاتف، لا يستدعي حضور شخصين في نفس اللحظة على جانبي الخط للحوار وتبادل المعلومات، بل إن الاتصال يكون غير متزامن، وهذا من شأنه أن يعطي الفرصة للمخاطبين للتفكير وكتابة الرد باتزان أكثر بالاعتماد على حجج وبيانات دقيقة.

ب- منابر النقاش Discussion Forums:

منابر تعمل على تأمين الاتصال الجماعي بين فريق من الباحثين الذين يتبادلون الرسائل حول موضوع دقيق ويناقشون فيما بينهم مختلف جوانب المسائل، وتختلف منابر النقاش بكون الرسائل التي يوجهها الباحث نحو المشاركين في الخدمة وليس نحو فرد معين، وتعد بالتالي منتدى يدفع بالباحثين لمراجعة آرائهم وإثرائها، وفضاء للقاء والاطلاع على آخر التطورات في مجال اختصاصهم.

ج- مجموعات الأخبار News groups:

هذه الندوات الالكترونية التي تنتظم عبر الانترنت حول موضوع معين تعد بمثابة الفضاء لتبادل الآراء ونتائج البحوث الجديدة. ومن خلال المحاضرات والمقالات التي تقدم عبر الشبكة يستطيع الباحث أن يقيم علاقات مع زملاء كثيرين للتعاون معهم وللحصول على قدر كبير من المعلومات العلمية في مجال اختصاصه.

تختلف منابر النقاش عن مجموعات الأخبار بكون الأولى تتطلب من الباحث أن يقدم طلب عضوية قبل كل شيء في المنتدى حتى يتسنى له استقبال الرسائل على عنوانه الالكتروني الشخصي، في حين تستدعي مجموعات الأخبار من المستفيد البحث بنفسه عن الموقع الخاص بذلك للإطلاع على النصوص العلمية، لذا فإن الفارق بين كلا الخدمتين يكمن في طريقة إدارتها وطريقة توزيع أو بث المعلومات العلمية. إلا أنهما يتفقان في الهدف ألا وهو توفير فضاء افتراضي مفتوح للحوار العلمي وتبادل نتائج البحوث.

د- بث المعلومات داخل الهيئات العلمية وخارجها (الناشرون العلميون):

تحرص المؤسسات البحثية على استخدام شبكة داخلية لنقل المعلومات بين أعضاء فرق البحث، ومن ضمنها "المعلومات الداخلية" الخاصة بالمختبرات ووحدات البحث حيث نجد تقارير عن تقدم مشاريع البحث وعن اجتماعات الوحدات وأخبار عن العلماء ونشاطهم، (مشاركات في مؤتمرات علمية، انتدابات وترقيات ومنح دراسية، أسفار واتصالات بجامعات أجنبية وغيرها).

صفحات واب للباحثين:

علاوة على المعلومات عن المجموعات وفرق البحث تنشر مواقع الواب معلومات عن الأفراد، وهذان الإجراءان مكملان لبعضهما إذ إلى جانب التعريف بهيئة البحث ووصف نشاطها وإنجازاتها، يقدم الموقع تفاصيل أكثر عن الباحثين من خلال صفحات واب شخصية تذكر فيها أهم المحطات في مسيرتهم العلمية والمهنية: السيرة الذاتية للباحث ومؤهلاته وتجربته العملية ونشاطه في محيطه العلمي والمهني (عضوية الجمعيات العلمية، تقديم خبرات للمنظمات الدولية، مهامه الإدارية والتعليمية بالجامعة ومؤلفاته).

كما تسهم صفحات واب الباحثين في التعريف بأعضاء الفريق العلمي وربط الصلة بزملائهم الآخرين داخل الوطن وخارجه حيث أن أصحاب الاهتمامات المشتركة يلتقون لأجل التعاون وتبادل التجارب.

الكتاب الإلكتروني e- book

برز مصطلح الكتاب الإلكتروني الذي له أكثر من دلالة إذ يشير إلى النص الرقمي الموجود على شبكة الانترنت الذي يتم تحميله كما يدل أيضاً على أجهزة جديدة "لقراءة الكتاب". ولنتأمل بعض التعاريف للكتاب: "الكتاب الإلكتروني هو جهاز حاسوب صغير جوال له شكل الكتاب، وبه شاشة للعرض تسمح بخزن وقراءة المنشورات على الخط والمتوفرة بواسطة عملية التحميل من شبكة الإنترنت" وفي تعريف آخر "الكتاب الإلكتروني عبارة عن نصوص رقمية في شكل كتب قابلة للتحميل على جهاز ويمكن قراءتها باستخدام برنامج قرائي، سواء كان متصفحاً على الواب أو خاصاً بالقراءة.

المجلات الرقمية:

إذا كان عدد هام من المجلات العلمية قد وضع بسرعة على الخط فلأن ذلك يقدم بعض الإيجابيات قياساً بالمجلة الورقية.

مسالك الإنتاج والتوزيع سريعة: عمليات كتابة النص العلمي وإخراجه أصبحت سهلة وفي متناول المؤلف، وأما مدة تحكيم المقال من طرف هيئة التحرير فقد قصرت بفضل الاتصال الالكتروني بين هيئة تحرير المجلة والمحكمين عبر الانترنت. وباختصار فإن آجال إيداع المقال من طرف المؤلف إلى نشره على الواب قد اختصرت كثيراً.

محركات البحث: Search- Engine

هي برمجيات عملاقة تستخدم روابط فائقة لجلب صفحات الواب وتكشيفها. ثم يتم البحث في النص الكامل. وهناك محركات تسمح بالبحث في بعض الحقول مثل العنوان والمجال وعنوان URLواسم مزود لخدمات الانترنت.ومن أمثلة محركات البحث:- Google, Alta Vista, Excite, Hotpot, Info Seek, Lycos, Web Crawler.

المراجع والمصادر

- آل حداد، مهنا (١٩٩١). مدخل إلى العلوم الاجتماعية. عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
- الحديدي، منى وحسن مكاوي (٢٠٠٤). الفضائيات العربية ومتغيرات العصر: أعمال المؤتمر العلمي الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- السريحي ،حسن عواد. شاهين، شريف كامل (١٤٢٣هـ). مقدمة في علم المعلومات جده : دار الخلود للنشر والتوزيع.
- الشهراني، عائض سعد (٢٠٠٨). الخدمة الاجتماعية: شمولية التطبيق ومهنية الممارسة. جدة: خوارزم العلمية.
- الفاروقي، اسماعيل راجي وعبد الله عمر نصيف (١٩٨٤). العلوم الاجتماعية والطبيعية من وجهة النظر الإسلامية. جدة: جامعة الملك عبد العزيز.
- المعايطة، خليل وآخرون (١٤٢٠). مدخل إلى الخدمة الاجتماعية. الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
- الموسى، عصام سليمان (١٩٩٥). المدخل في الاتصال الجماهيري. عمان: وزارة الثقافة.

- الوليعي، عبد الله ناصر (١٤٢٦هـ). المدخل إلى الجغرافيا الطبيعية والبشرية. الرياض: دار الصولتية للتربية.

- قدوره، وحيد (٢٠٠٦م). الاتصال العلمي والوصول الحر الى المعلومات العلمية: الباحثون والمكتبات الجامعية العربية. تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

- لطفي، طلعت إبراهيم (١٩٨٤) . مبادئ علم الاجتماع. الرياض: مؤسسة الأنوار للنشر التوزيع.

- محمد نصر، حسني (٢٠٠٣). الإنترنت والإعلام: الصحافة الألكترونية. الكويت: مكتبة الفلاح.

- مكاوي، حسن عماد وليلى السيد (٢٠٠٦). الاتصال ونظرياته المعاصرة. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

- نهر ، هادي (٢٠٠١). اللسانيات الاجتماعية عند العرب. دار الأمل للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، الطبعة الأولى.

- Holmes, Janet.(2001). An Introduction to Sociolinguistics. London: Longman.

- Mayerhoff, Miriam (2006). Introducing Sociolinguistics. London & New York: Routledge.